لحظة غياب

ندى ممدوح

نوفيلا

لحظة غياب

نوفيلا

لحظة غياب

ندى ممدوح

ندى ممدوح

لحظة غياب

تصميم:-

غلاف: Rehab Abdelkader

نوفيلا: لحظة غياب

بقلم: ندى ممدوح

جروب

تصميماتى *للبنات فقط*

ندى ممدوح

إهداء:-

إلى بسمة أيامي، ودواء ندوبِ، إلى سعادة قلبي، وراحة نفسي، وطمأنينة روحي (أسماء) أهديكِ هذه الكلمات وأنا على يقين إنها لن توفي قدرك يا عزيزتي.. فشكرًا لأنكِ معي، والحمد لله إنه رزقني بكِ.

إلى جدي، حبَّة القلب ومهجته، الذي بعد فراقه لم أجد سكنًا مثله، ولا حنانًا كأن كل حنان الدنيا ذهب من بعده .. أشتاقك يا جدي، وعزائي الوحيد إن في الجنة الملتقي يا نور عيني، أهدي لك هذا العمل ليكون صدقة جارية لروحك الحبيبة.

إلى من تحطمت روحي بعد رحيلها (غادة) لن أقول وداعًا يا نور قلبي ففي الجنة لنا لقاء، ولكني سأخبرك سرًا إنه بعد رحيلك لم أعد بخير ولن أكون، شكرًا يا رفيقة الدرب، والعمر، والجنة بإذن الله تعالى

المقدمة :-

شمسي أنتِ الوهاجة في سماء روحي الحالكة، توهجك يتسلل إلى قلبي فيغمره بنورٌ لو وزع على كل قلوب المحبين لكفى وفاض، إياكِ أن تغيبي، أو تفل شمسك، تحترق روحي يا عزيزتي بنار الغياب الذي لا مناص منه، لأجلك .. لأجلك فقط أحيا يا حبَّة الفؤاد، ومسكنه، واطمئنانه، وسكينته.

الفصل الاول

لحظة غياب

(اختطاف)

لأجلكِ سأخوض العالم بحثًا، لأجلك سأقيمُ حروبًا، لكنني لن أبرح سويداء فؤادك فهو مسكني الوحيد.. ففي عينيكِ يا فاتنةُ العينين أهيم.

سحبٌ بيضاء غطت السماء، وتوارت الشمس وراءها في استحياء، واختفت زرقة السماء خجلًا في ذلك الصباح المنعش، ذات النسمات العطرة، الجو صاقعٌ جميل، وبدا اليوم كأنه يحمل حكايات جمة سنتوغل بداخلها رويدًا رويدًا، ونعش في ثناياها حكاية حب ستحيًا في أفئدتنا ، وإزاء بعضهما وقفا كلُ منهما أمام بنايته، وتحركا معًا تجاه بعضهما حتى تلاقيا، وببسمة خجلة تبسمت، وهي تقول :

_ سلامُ عليكَ يا هاشم.

تأمل هاشم ملامحها بمقلتين متفعمتين بالحنان، وهمس والبسمة تبزغ على محياه ذات اللحية النامية :

_ وعليكِ سلام الله يا أميرتي، كيف حالك؟

أومأت برأسها ولم تنبس وأن قالت عينيها الكثير، ورمقه فؤادها العاشق هائمًا وطوى ضلوعه على حبًا لو وزع على قلوب العاشقين لكفى وفاض ..

هاشم زوجها ..

زوجها الذي أحبته بكل ذرة في كيانها ..

القلب لا يعرف حبيبًا غيره ..

والروح لا تجد سندًا سواه ..

والنفس لم تهوى إلا به ..

والعين لا ترى في الوجود غيره ..

كأنما صنع تعويذه على نن البصر ألا ترى غيره مهما اكتظ من حولها الأحبة.

يبقى هو الحبيب، الأخ والصديق، ورفيقُ الدرب، والعالم وما فيه..

توفى والدها صغيرة، فترعرت أمام عينيه ابنُ خالتها الذي يقطن مقابلهم تمامًا .. أحبت هاشم، وكيان هاشم، وكل حاجة تخص هاشم، ذاك الذي أغدقها بحنانه ورعايته واحتواءه، فكيف لا تحبه وهو حتى بعد أن غدت زوجته يعاملها بكل هذا التحفظ، دائمًا ما يخبرها إنه يريدُ أن يحافظ عليها من نفسه وكانت جملته مقترنة بفعله دائمًا، ها هو ذا تميمة تحفظها من نسمة هواء قد تصيبها ببردًا، ومن مرارة الحياة أن تألم قلبها، ومن قسوة وحوش العالم أن تطالها، بالأحق هو رجل بكل ما تعنيه الكلمة من معان.

" هل ستتأخر مريم؟ "

انبعث صوت هاشم وهو يدس كفيه في جيبي معطفه إتقاءًا للبرد، فرفعت بصرها إليه وهي تجيبه في صوت هامس :

_ ربما قليلًا، هل أنت على عجلة من أمرك ؟.

رمقها بنظرة عتاب، فكل شيء في الدنيا لا يمكن ان يكون أهم منها، وتنهد وهو يقول برفق :

_ تعلمين أن الدنيا كلها ليست أهم منك، كما تعلمين إني لن أأمن أن تذهبي بمفردك وخطف البنات قائم في تلك الأثناء.

تحمحمت خجلًا وهي تتحاشى النظر إليه، وألتهت بضم ياقتا معطفها لبعضهما، ثم راحت تفرك كفيها، وغيرت مجرى الحديث بقولها :

_ الجو بارد للغاية.

ألقى هاشم نظرة إلى السماء، وإلى السحب البيضاء التي غطتها، وغمغم :

_ يبدو إنها ستمطر، فها ذي السحاب تظللنا لتنبئنا بغيثٌ جميل آت.

غمغمت أسماء :

_ يبدو ذلك.

خيم الصمت عليهما لدقيقة أو لدقيقتين ربما، لا أحد يدرك فـ الوقت بين العشاق يمر مرور الشُهب، هو صمت قالت فيه العيون ما لم تقوله الألسن، وهامت فيه الروح في تؤومتها كما لم تهم روح العاشق من قبل، وفاض في القلب ارتياح لا يشبعه إلا اطمئنان حبيب.

تمر اللحظات الهائمة، التي يتخللها الحب في سرعة، وليتها لا تمر، أو يتوقف الزمن عليها ولا تمر عقارب الساعة.

انبعث صوت مريم، صديقة أسماء المقربة وجارتها في آن، منتشلًا إياهما من دوامة عشق لا يزول قط ولن يزول، قائلة بنبرة مرحة :

_عصافيرُ الحب ها هما، هلا أتيتما كلا نتأخر!

تحمحم هاشم في خجل وهو ينزع عيناه كراهية عن محيا حبيبته، وأخرج يديه من جيبي بنطاله وهو يتقدمهما، قائلًا :

_ ومن يأخرنا غيرك كل مرة؟ هيا أتبعاني، وكفى تقعسًا.

تأبطت مريم ذراع أسماء، وهما يسيران خلفه لدن سيارته المرتكنة جانبًا، وتهمس في أذنيها ضاحكة في خفوت لا يكاد يُسمع :

_ كفى ماذا؟ ومتى تقاعسنا نحن؟ ها اخبريني وإلا زوجك ذاك سيصيبني بالجنون!

تبسمت أسماء ضاحكة لقولِها ولم تنبس ببنت شفة وهي تصعد في المقعد الخلفي للسيارة، و جلست مريم جوارها، بينما أدار هاشم محرك القيادة وهو يتراجع للخلف ليخرج من الشارع، وما أن خرج إلى الطريق العام ومضى إلى سبيله، وأثناء الطريق وبين الفنية والأخرى كان يرمقها بنظرة سريعة كأنما تخشى عيناه أن تغفل عنها فتغيب ..

تخشيان أن تحيدان فتتسرب من جواره ..

محبًا هو حد النخاع ..

وعاشقًا إلى ما نهاية ..

وكم يود لو تمرق هذه السنة كلمح البصر فتصبح زوجته وتدخل بيته.

يا الله! بيته ستكن معه للأبد، بين ذراعيه سيستيقظ على وجه البدر يوميًا، وينام على الكوكب الدُري!

يا الله! متى تنتهى هذه السنة فيجدها بجانب قلبه كما هي فيه، بل في السويداء مباشرة.

حبة القلب وسكينتة لو تعلم كم يحبها؟

تلاقت نظراتهما لوهلة في مرآة السيارة، وظللت بسمة ساحرة محياه الأسمر، فذادت عيناها لمعانًا واستحياءًا واطرقت في خجل، وذاد خجلها عندما همست رفيقة طفولتها مريم في أذنها :

_ يا إلهي منكما، أقسم بأني أخشى أن أحسدهما فتتفرقا، يا له من حب هذا الذي يجمعكما، متى تقيمان العرس وتخلصاني منكما؟

لكزتها اسماء بمرفقها في خفة، ورمقتها بنظرة نارية، وهي تتمتم :

_اصمتِ.

أعتدلت مريم وهي تقول في جدية مباغتة :

_ كفاكِ فكاهة يا أسماء، ما هذا يا فتاة أليس هناك احترام لزوجك؟ ألا تخافين أن يسجننا؟

أجابها هاشم بنبرة مداعبة :

_ وكيف يمكنني سجن قلبي يا عزيزتي؟ قد أسجنك أنتِ بسبب لسانك الثرثار هذا.

أشارت مريم على نفسها، ورددت بصرها بين أسماء وهاشم وهي تردد في شيء من الصدمة :

_أنا ثرثارة؟

اتسعت حدقتيها، ثم أردفت تقول وهي تلوي طرفا شفتيها :

_ أنا لست ثرثارة يا هذا، أنت الثرثار، لسانك لا يكف عن الحديث طيلة الوقت.

رفع هاشم حاجبه دهشة، وأوقف السيارة أمام (جامعة القاهرة) وهو يغمغم :

_ها قد وصلنا، أنزلن حتى أركن السيارة.

ترجلتا الفتاتين من السيارة، وهن غافلات عن سيارة كانت بداخلها عينان تراقبان أسماء بحقدٍ دفين من وراء زجاج النافذة المغلق، ومرقتا بوابة الجامعة إلى قسم (كلية التجار).

بينما توجه هاشم إلى زميله حارس الأمن وصافحة بحرارة وهو يقول :

_ لم أتاخر، أليس كذلك؟

رد عليه زميله الأقل رتبة منه :

_ على الوقت دائمًا يا هاشم التأخر ليس من شيمك يا صاح.

ربت هاشم على كتفه بمودة، واستئذان مغادرًا ليقم بعمله.

❀سبحان الله ❀

جلست أسماء ومريم في حديقة الجامعة، وكُلاٍ منهما ممسكة بفنجان من القهوة، وجلسا على العشب الأخضر مستظلتين أسفل إحدى الشُجيرات، يغشاهما هدوءٍ مريح، لم تقطعه إلا مريم وهي تقول :

_ أسماء، حبيبتي هلا أخبرتيني ..

قاطعتها أسماء بعد ما ارتشفت رشفةٌ من كوبها :

_ بماذا؟

قالت مريم وهي ترنو إليها:

_بماذا، ماذا يا عزيزتي؟ ألم تعديني أن تقصين ليّ قصة أسماء (ذات النطاقيين) التي تحملين اسمِها؟

قالت أسماء بتذكر، والحماس يقطر من كلماتها :

_ ذكرتيني يا مريومة، كدتُ أنسىٰ، العتب على النسيان يا عزيزتي.

استوت أسماء متربعة بشغف، وهي تنحي الكوب جانبًا، وتنهدت في حرارة وهي تسرح مُتَطَلِّعَةٌ إلى السماء، وفتر ثغرها عن بسمةٌ كضوء الفجر، وأشرق وجهها بنور الإيمان بغتةٌ، وبدا خمارها الذي يغطي نصفها العلوي كسياج يحيط بالقمر، كأن ذكر الصحابيات نورٌ يستضىء به الفؤاد، ولمعت عيناها بدموع الأشتياق، وهي تأخذ نفسٌ عميق، مسبلة جفنية، هامسةٌ :

_ أسماء بنت أبي بكر، ذَاتُ النَّطَاقَيْن، صَحَابِيَّتُنا هذه قد جمعت كل المجد في أطرافه، أبوها صحابي، وزوجها صحابي، وأختها زوجة الرسول الحبيب المصطفى _صل الله عليه وسلم_، وابنها عبد الله بن الزبير...

فيا له من اسم هذا الذي حظيتُ به ..

يا له من فخرٍ ومجد ..

ليتني أحافظ عليه وأكن قدوة لمن أنا على إسمها ..

نحنُ بصدد قصةٌ ولا كلُ القصص، قصة ستحلق بنا إلى عنانِ السماء، فتلقي بأسماع مصغية، وقلبٌ واعيٌ.

قالت مريم والبهجة تطل من عينيها :

_ كلي آذانٌ مصغية، وجوارح مهتمة، وقلبٌ هائم من الشوق، فلا تتريثَّن وعجلي حتى يخمدُ شوقي.

التفتت لها أسماء، وصبت مريم جام اهتمامها لها في شوق، وهمست أسماء والبسمة لا تزول من على ثغرها الجميل :

_ كانت أسماء من السَّابقات إلى الإسلام، إذ لم يتقدم عليها في هذا الفضل العظيم غيرُ سبعة عشر إنسانًا مِن رجل أو امرأة.

أما تسميتها بذات النطاقين، فلهذا شرفٌ عظيم، حسبُها به، فقد لُقبت بهذا اللقب لأنها صنعت للرسول ﷺ ولأبيها يوم هاجرا إلى المدينة زادًا وأعدت لهما سِقاءً (هو ما يوضع فيه الماء)، فلمَّا لم تجد ما تربطهما بهِ شقت نطاقها (ما تشد به المرأة وسطها كحزام وما شابه) شقين، فربطت بأحدهما المِزود (كيس يوضع به الزاد) وبالتاني السقاء...

أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة)☹فدعا لها الرسول ﷺ فقال

وهذا مشهد عظيم يبين لنا جود أسماء، وإمَّا عن شجاعتها، فلا تكفي الكلمات وصفًا، ولا تقدر قدرها، فقد أتى أبو جهل في نفر، عندما هاجر الرسول وأبو بكر إلى المدينة، فخرجت إليهم، فقالوا: أين أبوك؟

قالت: لا أدري والله أين هو.

فرفع أبو جهل يده ولطمها، لطمة خرّ منها قرطها ثم أنصرفوا.

ولقد كان مشهد خطير نظرًا لأن المشركين كانوا يريدون قتل الرسول في صبيحة تلك الليلة، فموقف أسماء شديد الخطورة لكونها بنت الصديق صاحب النبي ﷺ ورفيق هجرته، وكما كان المشركين يجدون البحث عن النبي، فكذلك كانوا يبحثون على أبو بكر، ولا يبالون بأي الرجلين ظفروا، فحيثما وصلوا إلى أحدهما وجدوا الآخر.

وقد جمعت أسماء خصال الجود والكرم، وشمائل النبل، ورجاحة العقل.

فقد حدث ابنها عبد الله فقال :

ما رأيت امرأتين قط أجود من خالتي عائشة وأمي أسماء، لكن جودهما مختلف ..

أمَّا خالتي فكانت تجمع الشَّيء إلى الشَّيء حتى إذا اجتمع عندها ما يكفي؛ قسمته بين ذوِي الحاجات ..

وأمَّا أُمِّي فكانت لا تمسك شيئًا إلى الغد ..

فيا لها من امرأة أسماء ذات النطاقين ..

يا لها من كريمة لا تستبقي شيئًا ..

يا له من جود هذا الذي غمرها غمرًا ..

فأين نحنُ منها؟

لماذا لا نكُن ذا جود مثلها فنتصدق ولا نستبق شيئًا!

صمتت أسماء عند هذا الحد، بعينين ممتلئتين بدموعِ الشغف والحنين والأشتياق ..

شغف لِمَا يُنطق بهِ لسانها عن امرأة يذكرها التاريخ، من صحابيات الحبيب فيا له من شرف.

وحنينًا لرؤيا تلك التي تحمل هي أسمها.

وأشتياقًا للجنة لتجتمع بها هُنالك ..

أسندت ظهرها إلى جزع الشجرة، وعقدت ساعديها بتنهيدة راحة أترعت فؤادها، وخرج صوتها رخيمٌ، مفعم بالحب وهي تسترسل قائلة :

_ وأمَّا عن صبرها وثباتها في سبيل الدعوة، ونصر الله ورسوله فحدث ولا حرج.

ولندعها هي تحدثنا بذلك، فتقول : لما توجه النبي من مكة حمل أبو بكر معه جميع ماله، فأتاني جدي أبو قحافة وقد عَمى، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله بعد أن فجعكم بنفسه ..

فقلتُ : كلا، قد ترك لنا خيرًا كثيرًا.

فعمدت إلى أحجار، فجعلتُهنَّ في كوَّة البيت (التي كانوا يضعون فيها المال) وغطيتُ عليها بثوب، ثم أخذت بيديه، و وضعتها على الثوب، فقلت: هذا تركه لنا.

فقال: أما إذ ترك لكم هذا، فنعم.

هذه هي أسماء العاقلة الصابرة، التي لم تجزع لهجرة أبيها وتركهم دون مال ..

إنها ليست متحسرة حتى على كل هذا، ما كان المال ليشغل بالها!

لم تحمل همَّه قط!

إنها لم تنعي حظها وفقرها، بل إنها راضية مطمئنة تعلم أن لهم ربًا لن يضيعهم ...

إنها أسماء ذات النطاقين، كل همَّها رسالتها.

فلا غرو! أن تكتم السر في شجاعة، وتستقبل أبا جهل وأصحابه في قوة وبسالة، وتتحمل لطم خدها وهي صابرة مثابرة، وتشق نطاقها وهي راضية كل الرضى وهي سعيدة من أجل دينها ورسالتها.

" يا إلهي كم هي امرأة رائعة، ليت جم النسوة يقتضين بها، ويكُن مثلها "

انبعث صوت مريم مقاطعًا أسماء من قوقعتها، منتشلًا إياها من رحاب صحابيتها التي كانت مأخوذةً بها، فالتفتت إليها باسمة المحيا، وقالت في تمني :

_ يا ليت يا مريم، لكننا في زمن أنتهى فيه الصالحون، فلم يعد فيه إلا أقل القليل.

ربتت مريم على قدم أسماء وهي تقول بصوت يقطر لهفة :

_ تابعي يا أسماء، واطفأي نار فضولي.

أومأت أسماء وهي تقول في هدوء :

_ لكِ هذا، تحدثنا عن أسماء المؤمنة الصابرة، إذن فلنأتي إلى مواقفها وهي زوجة، فإن تلك المواقف جديرة بأن تذكر وأن تخلّد، لأن جهاد المرأة في بيتها ورعاية زوجها قد جعله الله تعالى هو الدور الأول والأعظم في جهاد المرأة المسلمة.

فلقد تزوج بها الزُّبير وهو شابًا فقيرًا، لا يملك إلا فرسه، فكانت له نعم الزوجة الصالحة، تخدمه وتسوس فرسه وترعاه، وتطحن النوى لعلفه.

لمَّ أُتيح لها أن تهاجر إلى المدينة، فِرارًا بدينها إلى الله ورسوله، كانت قد أتمت حملها بابنها عبد الله بن الزُّبير، فلم يمنعها ذلك من تحمل مشاق الرَّحلة الطويلة، فما إن بلغت (قُباء) حتى وضعت وليدها ..

وكان قبل أن توضع حملها لم يولد للمسلمون ولد، وأشاع اليهود أنهم سحروهم فلن ينجبوا، حتى كذَّبهم القدر، فولدت أسماء ابنها (عبد الله) فكان أول مولود في المدينة، فاستبشر المسلمون وكبروا وهللوا، فحملته إلى رسول الله و وضعته في حجره، فأخذ شيئًا من ريقه وجعله في فم الصَّبي، فكان أول ما دخل في جوفه ريقُ رسول الله _صل الله عليه وسلم_.

سال الدمع من عيني أسماء، وبدت كأنما غائبة حاضرة، أو ربما سافرت بعيدًا تتخيل ذات النطاقين، فتابعت بصوتٍ يشوبه البكاء بلى بكاء :

_ لو نسى التاريخ لأسماء كل مواقفها، فلن ينسى حتمًا صبرها وإيمانها وهي تودع ابنها عبد الله في اللقاء الأخير.

بعد وفاة يزيد بن معاوية بُويع لعبد الله بالخلافة في معظم بلاد الشام : في الحجاز، واليمن، وخراسان، ومصر، والعراق، وظل تسع سنوات ينادَى بأمير المؤمنين، حتى شاءت الأقدار، لحظ بني أمية أن تزول الخلافة من أرض الحجاز.

فما لبثوا بني أمية أن جهزوا جيشًا بقيادة (الحجاج بن يوسف الثقفي) .

وجاء الحجاج بجند الشام، ودارت بين الفريقين معارك طاحنة، أظهر فيها ابن الزُّبير من ما يليق بشجاع مثله، لولا أن أنصاره أنفضوا عنه شيئًا فشيئًا فلجأ إلى بيت الله الحرام، واحتمى هو ومن معه في حِمى الكعبة.

وقبيل مصرعه بساعات، في اليوم الذي قُتل فيه، دخل على أُمَّه أسماء وكانت عجوزًا قد ذهب بصرها، فقال لها : يا أماه، خذلني الناس، حتى ولداي وأهلي، فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردتُ من الدنيا، فماذا ترين؟

قالت أسماء: أنت والله أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق، وتدعوا إلى الحق، فاصبر وجالِد كما صبر أصحابك الذين قُتلوا تحت رايتك، وإن كنت إنما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت، أهلكت نفسك، وأهلكت رجالك.

قال: إني أخاف أن يُمثَّل بي أهل الشام.

قالت: إنَّ الكبش لا يؤلمه سلخه بعد ذبحه.

فدنا ابن الزبير وقبل رأسها، وقال لها :

هذا والله رأيي، والذي قمت به داعيًا، إلى يومي هذا، ما ركنتُ إلى الدنيا، ولا أحببتُ الحياة فيها، وما دعاني للخروج إلا الغضب لله أن تُستحل حُرمه، ولكني أحببتُ أن أعلم رأيك فزدتني بصيرة على بصيرتي، فانظري يا أماه، فإني مقتول من يومي هذا، فلا يشتد حزنك وسَلِّمي لأمر الله.

قالت: أني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنًا.

قال: جزاك الله خيراً، فلا تدعى الدعاء لي قبل وبعد.

قالت: لا أدعه أبدًا، ثم قالت: اللهم ارحم طول قيامه وشدة نحيبه في سواد الليل والناس نيام، اللهم ارحم جوعه وظمأه في هواجر المدينة ومكة، اللهم ارحم برَّه بأبيه وبي، اللهم قد سلمتُه لأمرك فيه، ورضيتُ بما قضيتَ فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين

و ودعته بقلبٍ صابر، يعلم إن لقاء الآخرة لهو اللقاء الحق،

تشممت رائحته لتحتفظ بها فيما سيتبقى لها من عمر، وربما جالت بفمها تلثم وجهه، وتضمه.

ولم تغرب شمس ذلك اليوم إلا كان عبد الله بن الزّبير قد لحق بجوار ربه، فكبر أهل الشام لمقتله، فبلغ ذلك ابن عمر فقال:

الذين كبروا لمولده، خير من الذين كبروا لموته.

يا لها من أم عظيمة هذه، يا لها من قوة تتحلى بها تلك المرأة، يا لها من محتسبة وصابرة، إنها لأم قد شاب رأسها ولم يشب قلبها، وشاخ جسدها ولم يشخ إيمانها، وانحنى ظهرها لكن عقلها ظل مستقيمًا، أي أم هي أسماء التي تصبر على قتل ولدها والتمثل بجسده وصلبه؟!

أي أم هي لتحث ابنها على المقاتلة حتى الموت؟!

يا له من إيمان يملئ قلبها هو.

أما قصتها مع الحجاج الجبار قاتل ابنها، فقد صلب الحجاج عبد الله بن الزُّبير للتشفي، ثم أرسل إلى أسماء فأبت أن تأتيه، فأعاد إليها الرسول: لتأتيني او لأبعثن إليكِ من يسحبك من قرونك، فأبت وقالت: والله لا آتيه حتى يبعث إليّ من يسحبني بقروني.

فما كان من الحجاج إلا أن رضخ لصلابتها، وانطلق حتى دخل عليها، فقال: أرأيتِ كيف نصر الله الحق وأظهره؟

قالت: ربما أديل الباطل على الحق وأهله.

قال: كيف رأيتني صنعتُ بعدو الله.

قالت: أراك أفسدتَ على ابني دنياه، وأفسد عليك آخرتك.

قال: إن ابنك ألحد في هذا البيت، وقد قال الله: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)، وقد أذاقه الله العذاب الأليم.

قالت: كذبتَ، كان أول مولود وُلِدَ في الإسلام بالمدينة، وسُرَّ به رسول الله وحنَّكه بيده، وكبَّر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحًا به، وكان برًا بأبويه صوامًا قوامًا بكتاب الله، مُعظمًا لحُرم الله، مبغضًا لمن يعصي

الله، أما إن رسول الله حدثني أن في ثقيف كذابًا ومُبيرًا (أي سفاحًا قتَّالًا) فأما الكذاب فقد رأيناه (تعني المختار بن عبيد الثقفي) وأما المبير فلا إخالك إلا إياه.

فخرج الحجاج من عندها منكسرًا يتمنى لو لم يكن لقيها، بعد أن دخل عليها مزهوًا يريد أن يتشفى.

وبلغ عبد الملك بن مروان ما صنع الحجاج مع أسماء فكتب إليه يستنكر فعله ويقول: ما لك ولابنة الرجل الصالح؟

وأوصاه بها خيرًا، ودخل عليها الحجاج فقال: يا أماه، إن أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة؟

قالت: لست لك بأم، إنما أنا أم المصلوب على الثنية، وما لي من حاجة.

وأخيرًا: آن للفارس المصلوب أن يترجل، وينزل من فوق خشبته ويسلم إلى أمه فتحنطه وتكفنه وتصلي عليه وتودعه في جوف الثرى ليلتقي في دار الخلود بأبيه الزبير وجده أبو بكر، وخالته عائشة رضي الله عنهم.

ولم يمض على مصرع ابنها إلا بضعة عشر يومًا إلا ولحقت أسماء به.

وقد بلغت من العمر مائة عام، ولم يسقط لها سِنَّ، ولم يغب من عقلها شيء، وكانت فقيهة عالمة لسنة رسول الله صل الله عليه وسلم.

ها هي ذي قصة المرأة التي شقت نطاقها نصفين ..

إنها أسماء ..

أسماء ذات النطاقين ..

أسماء بنت ابي بكر الصديق ..

أسماء أخت عائشة زوجة الرسول ..

أسماء زوجة الزُّبير حواري الرسول ..

أسماء أم عبد الله الذي أول شيء دخل جوفه هو ريق النبي ..

❁ الحمد لله ❁

لم يدر هاشم لماذا شعر بهذا التوتر، أو ما سبب تلك القبضة التي تعصر فؤاده عصرًا، وهو يتابع عمله في توتر سرى في كيانه كله، حتى نبأه قلبه إن شيئًا سيءٍ سيحصل له، فدلف إلى الجامعة و وقف على بُعد من حبيبته وتبسم وهو يراقبها في حنان ويقرأ حركتا شفتيها فيدخل همسها إلى قلبه، ويتسلل بكل يسر، وكاد يتولى لمتابعة عمله، حين باغته رفيق العمل، وهو يقبل راكضًا، ويقف أمامه لاهثًا ثم يقول :

_ هاشم، المدير يطلبك في الحال على الهاتف.

في اهتمام أقترب هاشم منه خطوة، وهو يسألُه :

_ أبشأن البنات، أم ماذا؟

غمغم رفيقه :

_ أظن ذلك، هيا أسرع.

❀الله أكبر ❀

كانتا قد انتهتا من محضارتهما، وبينما هُما في طريقهما للخروج من باب الجامعة لكزت مريم أسماء، فألتفتت لها الأخرى مستفسرة، فغمغمت مريم غامزة في مشاكسة :

_ حبيبُ القلب ها هو.

صوبت أسماء بصرها إلى ما أشارت رفيقتها، وما كادت عيناها تقعان على هاشم الواقف على الجانب الأخر يتحدث مع أحدهما، حتى فُتر ثغرها ببسمة مشرقة في استحياء، وكأنما قد أحس بوجودها، أو أخبرته عينا قلبه عن حضورها الطاغي، فألتفتت لتتلاقى عيناهما بحديثٌ خافت، فغضت الطرف خجلة، وهي تهمس لمريم :

_ هلمِ بنا، هيا.

ظللت مريم بكفها عن ضحكة أنطلقت منها، وهي تقول :

_ ما كل هذا الخجل يا أميرة الأميرُ هاشم.

ثم أردفت وهي تلكزها بكتفها :

_ ها، أخبريني!.

سيارة حجبت عن هاشم رؤية الفتاتين فجأة، فاشرأئب برأسه لأعلى يحاول رؤيتهما، ولكن فجأة!

أنطلقت السيارة في لمح البصر كالصاروخ، تصاحبها صيحة مريم الجزعة، التي تفطر القلوب باسم رفيقتها، ثم راحت تهتف غير دارية بدمعها الذي يسيل في غزارة :

_ ألحق يا هاشم، إلحق أسماء.

بصر هاشم أسماء داخل السيارة، فأخرج سلاحه فورًا وهو يعدو وراءها ..

يركض..

ويركض..

ويركض..

كأن قدميه أصبحتا ألتا للجري، وبسبب السيارات التي تذهب وتجيء والناس من حوله لم يتمكن من إطلاق رصاصة واحدة من سلاحه، فوقف لاهثًا ونظره متعلق بطيف السيارة التي راحت تتلاشى ..

وتتلاشى..

وتتلاشى.. بعيدًا أمام عينيه مباشرةً.

فتوقف في منتصف الطريق، بين السيارات التي راح راكبيها يرغون ويذبدون، لا يعلمون أن هذا الواقف قد فقد قلبه للتو ..

قد أنتهى و وارى قلبه جوف الثرى..

بلا وداع ..

وبلا عودة ..

أحس هاشم بقلبه قد شاخ فجأة من شدة العجز وكلمتها له تترد في أذنه مع ذكرى تلقي بشباكها في آوان غير أوانها :

« أترانا نحيا إلى أن نكبر في العمر، فتشيب رؤسنا معًا، ونعجز سويًا»

لا، لا آرانا يا أسماء قد يمضي بنا العمر معًا، شيئًا ما بداخله يخبره ذلك.

لقد أحس إن شعره قد شاب فجأة، لقد شيبه إختطافها الذي قصم قلبه، وشاخ لفقدها دون أن يشيخ حبها، وذهبت روحه تغادره، لقد انحنى ظهره في لحظة .. لحظة غياب.

يُتبع ...

#لحظة_غياب

#ندى_ممدوح_فايد

الفصل الثاني

لحظة غياب

(الفدية)

لحظة غياب قد تكون هي الفارقة في حياة الإنسان، لحظة حياة أو .. أو موت.

وقف (هاشم) أمام مديره في ثبات يحسد عليه، الغائبة ليست أي أحد إنها نفسه، روحه ربما، إنها شيء لا يمكن وصفه، شيء سُحب منه فسُحبت منه الحياة.. يقف كالتائه بقلبٌ قد توقف نبضه.

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتي (الضابط) وهو يرمق هاشم بشفقة، مغمغمًا وثمة ورقة مطوية في يديه يُلقي عليها نظرة من الحين إلى الآخر :

_ الاستسلام لم يكن يومًا من طبعك يا هاشم، لم أعهدك هكذا، ما ليّ أراك كعجوز كبر جسده بغتة، وشاب شعره فلا يستطع حتى الوقوف؟!

غمغم (هاشم) بفتور وهو ينصب جسده، ويصوب بصره إلى (الضابط) :

_ لقد قُلتها يا سيدّي الاستسلام ليس من طبعي، ليس هاشم من يستسلم بهذا اليسر، استسلامي ليس بهين قط إنه عسير، وها أنا ذا بكامل قواي.

نهض (الضابط) من وراء مكتبه، قائلًا :

_ عظيم هذا هو يقينِ فيكَ يا هاشم.

شد (هاشم) قامته حينما أحس بكف (الضابط) تُضع على منكبه، وصوته الصارم، يقول :

_ اعرني إذن سمعك وانتباهك جيدًا، خاطف زوجتك والبقية من البنات، قد أرسل رسالة يطلب فيها فديه بـمليون.

بكل لهفة وأمل الدنيا نظر (هاشم) إلى الضابط في لهفة، وتوسعت عينه بالفرح الذي لم يلبث إن خبا سريعًا مع إسترسال (الضابط) :

_ وثمة أمرٌ آخر الخاطف يطلبك أنتَ وحدك، وبمفردك من يذهب ويسلمه المال.. وقد حدد موعد و وقت اللقاء.

أجابه (هاشم) سريعًا:

_ سأذهب إذن.

تنهد (الضابط) وقال وهو يشبك كفيهِ وراء ظهره :

_ الأمر ليس بهذه البساطة، لقد أعددنا المال بالفعل، ولكن .. لن تذهب وحدك.. سيتعقب أثرك بعض من زملائك...

قاطعة (هاشم) في قلق :

_ وماذا لو علم الخاطف؟

غمغم (الضابط) وهو يعود إلى مقعده :

_ سنأمل ألا يفعل.

🍂 لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين 🍂

" يا ابنتي، كُفي عن البكاء.. منذُ مجيئك وأنتِ كما أنتِ ستعود أسماء يا قُرَّة عيني "

انطلقت هذه العبارة في حزنٍ واضح، وبصوت يجمع ما بين الشفقة والقلق، على نحو جعل تلك الجالسة على مصلاها ترفع عينيها الممتلئتين بالدمع عن المصحف في وجه المتحدَّثة، وتغمغم بنشيج :

_ لقد أُخذت أمامي يا أمي، أشعر إنها لن تعود ليّ، لكنني سأتضرع إلى الله عز وجل أن ينجلي هذا الهاجس وتعود، فلا يمكنني تصوّر حياتي من غيرها يا أمي.

همهمت بجُل تلك العبارات مريم رفيقة أسماء في انهيار يُدمي القلب، ويهز الروح هزًا، لا تذكر كيف وصلت من الجامعة، لا تعلم كيف سارت، وكيف انقادت، فالدمع لا يكف عن الهطول من مآقيها التي تقرحت، تتذكر فقط إنها تيقظت لنفسها وهي ملقية بين كفين والدتها على أعتاب دارها، و والدتها تحاول تهدأتها باكية لبكائها لا تدرِ ما بها.

وها هي ذا جالسة على سجادة الصلاة، لم تبرحها منذُ إن عادت، تارة تخرّ لله ساجدة باكية، وأخرى تتلو كلام ربها لعلها تجد فيه سلواها.

احتضنتها أُمها بين ذراعيها، وهي تقول بحزنٍ دفين :

_ سترجع إلينا إن شاء الله يا ابنتي، استحلفك بالنبي ألا تبكي (والنبي يا حبيبتي كفاكِ)

توقف دمع مريم بغتة، وخرجت من حضن أُمها وذكرى أسماء ترفرف بأجنحتها في قلبها، تستعيد جلسة حبيبة حيثُ كانتا في إحدى ليالي رمضان الكريم وهما جالستين في شرفة المنزل تتسامرن وتتضحكن، وهما في غمرة ذلك إذ زُل لسانها بالحلفان بالنبي فنهرتها أسماء عن ذلك ...

انطلقت ضحكة صافية من ثغر مريم وهي تستعيد الذكرى، وتجول ضحكة أسماء في خلدها، فكفكفت دمعها ونظرت إلى والدتها، قائلة :

_ أُمي، لا تحلفي بالرسول مجددًا فهو حرام فإن " من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك." رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

اعتدلت مريم في مجلسها وهي تردف قائلة بلهفة :

_ لقد علمتني أسماء ذلك جزاها الله عني خيرًا، لا تحلفي بغير الله يا أمي وإلا فهو شرك والشرك خطره عظيم.

فلا يجوز الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم، لقوله صلى الله عليه وسلم: "من كان حالفاً فليحلف بالله، أو ليصمت".

ضمت كف والدتها، ثم أردفت تقول :

_ نحنُ لسنا مشركين بالله يا أمي، فلا نحلف و إن حلفنا إلا بالله، واسئل الله أن يتجاوز عن سيئاتنا، ويمحو ذنوبنا، ويغفر خطيانا.

تطلعت إليها والدتها متبسمة، ولهج قلبها بدعاءً خفيًا أن تعود أسماء لهم سالمة آمنة، وهتفت وهي تقوم من مكانها:

_بارك الله ليّ فيكِ يا ابنتي، وجزاكِ الله خيرًا عن هذه المعلومة، وجعلها في ميزان حسنات أسماء، سأذهب لخالتك أم أسماء لأواسيها واصبرها فالمراة بمفردها الآن.

اومأت مريم برأسها، وحثتها قائلة :

_ ابقي معها يا أمي ولا تتركيها بمفردها، ولولا إنني لن أكف عن البكاء لكنتُ أتيت لكني لا اريد أن احملها ما لا طاقة لها به.

غادرت أم مريم، وعادت مريم إلى وردها، وتناهى لها على حين غفلة إشعار من التيلجرام جذب انتباهها فإذا بقلبها يهرع إلى ، وروحها يترقب بحذر.

وانفجرت اسايرها بهجةً وسرور..

وعاد لها أمل الحياة مجددًا..

إنها رسالة من أسماء على قناتها الرسمية التي ترسل فيها خواطرها..

إنها هي..

هي لا محالة..

هل كانت في حلم؟!

لا يهم، المهم إن مريم متواجدة وكفى..

في سرعة كانت اناملها تضغط على الأشعار، وتهفو عينان قلبها تقرأن ما أرسلت أسماء في نهم، وراحت عيناها تجريان على الحروف كالمتغيبة، سابحة هي في بحر كلمات رفيقتها، غائبة عن الوجود إذا كان الوجود ليس به أسماء..وجلست على طرف الفراس وهي تلتهم الأحرُف ... التي كانت..

سلام الله عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .. الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ

كيف حالكم يا اخوات؟ أتمنى أن تكُن بخير، أودُ لو تقرؤون كلامي لا بعينيكم فلا يكن شيءٌ عابر، تمعني فيه بقلبك، فحديثنا اليوم ليس كأي حديث، إنه عن فرض من فروض الله عز وجل، وحين نقول فرض الله يعني قربًا، يعني ربما طريقُ للجنة.

اللباس الشرعي ..

ما رأيكم ان نبدأ به الآن، استعدي .. افتحي قلبك ليستقبل الكلام .. وحين نقول اللبس الشرعي فيجب لقلبك أن يتبسم وإن كنتِ ممن يرتدنهُ فطوبي لكِ يا عزيزتي هذا الاستثناء من الله عز وجل، حبذا يا أميرة الدنيا وحورية الفردوس، فإن ألهمك الله بهذا اعلمي إن الله يحبك و يريد لكِ الهداية.

على المرأة المسلمة أن ترتدي اللباس الشرعي الذي أمر الله به ورسوله_صلى الله عليه وسلم_هذا واجبنا نحن وفرض كتبه الله علينا، فألا تلبين يا حبيبتي؟ ألا تهرولين إلى فرض الله؟

فيا يا غالية الدنيا فانية، ربما كان ملك الموت قريبًا منك، ربما تجديه فجأة في وجهك ماذا ستقولين لله؟ لن ينفعك حينها الندم، ربما تصبحين ولا تمسين، وتنامين فلا تستيقظين؟ ربما تخرجين من المنزل ولا تعودين، أفيقي يرحمك الله فالفتن تعصف بنا عصفًا لا تجعليها تجرفك معها.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً [الأحزاب:59]. وقال تعالى: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ [النور: 31]

إذن على المرأة أن تلبس الخمار وهو ما يلبس على الرأس فيغطي شعرها وصدرها، وتلبس الفضفاض الذي يغطي سائر البدن، ولا يكون شفافًا يصف بشرتها، ولا رقيقًا يصف حجمها.

فالحجاب التي ترتديه جُل البنات في وقتنا هذا، ذاك القصير الذي تسترسل من أسفله شعرها لا يسمى بحجاب، فالخمار هو ما ستر كامل الجسد والصدر، وهو أمر من الله ورسوله.

تأملي معي هيا (لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين) نساء المؤمنين يا لها من كلمة تنعش القلب بالفرح والحياة، ألا تريدين أن تكوني من نساء المؤمنين اللاتي ذكرهم الله في القرآن الكريم، كلام الله يا أختي، ألا تريدين أن تكوني مثل زوجات الرسول وبناته فتكونين معهم في الجنة، ويفتخرن بكِ إنكِ كنتِ قدوة لهن في الدنيا؟

هيا معي مدي ليّ يدك وايقظي قلبك من غفلته، ارمي الدنيا وراء ظهرك قبل أن ترميكِ هي في القبر.

تأملي معي هذا الحديث عن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا.
رواه مسلم عن رواية أبي هريرة

كاسيات عاريات، هو أنهن كاسيات لبعض أجسادهن، عاريات لبعضها إظهاراً للجمال، أو لابسات ثياباً رقاقاً تصف ما تحتها، فهن كاسيات في الظاهر عاريات في الحقيقة، أو كاسيات من نعم الله تعالى عاريات من شكرها.

و قوله: (مائلات مميلات) هو أنهن مائلات متبخترات في مشيتهن، مميلات أكتافهن وأعطافهن وأردافهنَّ. وقيل المعنى أنهن مائلات عن طاعة الله تعالى وما يلزمهن من حفظ فروجهن.

وأما رؤوسهن كأسنمة البخت، فمعناه يعظمن رؤوسهن بالخمر والعمائم وغيرها مما يلف على الرأس حتى تشبه أسنمة الإبل البخت، هذا هو المشهور في تفسيره، قال المازري: ويجوز أن يكون معناه يطمحن إلى الرجال ولا يغضضن عنهم ولا ينكسن رؤوسهن. واختار القاضي أن المائلات تمشطن المشطة الميلاء.

ألم يؤثر فيكِ حديثِ بعد؟ ألم يرتجف له قلبك؟ ألم تستيقظي من غفلتك؟

لا بأس إليكِ بهذا الكلام الذي تشيب له رؤوس الولدان، وترتجف لذكره القلوب.

المتبرجات قد لا ينظر الله لهم يوم القيامة؟

الله حبيبك وحبيبي ألا تريدين أن ينظر لكِ؟

من هي المتبرجة؟ هي التي خلعت حجابها وابدت زينتها للأجانب عنها، واظهرت محاسنها، هو معصية لله ورسوله صلوات الله عليه، وقد يكون سبب الحرمان من الجنة فقد روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى." قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟. قال: " من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى ." فلا تعصي الله يا غالية فمن عصته لن تدخل الجنة.

والتبرج من الكبائر.

ثم تفكري أن الكاسيات العاريات لا يدخلن الجنة ولا يشممن ريحها! أنتِ لن تقدري على النار يا حبيبتي فهي مستقر.

إذن فاللباس الشرعي له شروط :

أن يكون فضافضًا يستر البدن..

ألا يكون شفافًا يرى منه لون البشرة.

ان لا يكون ضيقًا يبين أعضائها.

أن لا تتشبه بالرجال في لباسها.

أن لا يكون فيه زينة تلفت الأنظار عند خروجها من المنزل لئلا تكون من المتبرجات بالزينة.

فمن لها يا احباب، من ستلبي فرض الرحمن؟ من ستأخذ الخطوة، واعلمي يا حفيدة عائشة إن ألهمك الله بإرتداء اللبس الشرعي فهو قد اصفطاكِ وطهركِ وهداكِ إن الله يحبك فاحبيه ولبي فرض الحبيب.

إلى أين تذهبين؟ لم أنهي كلامي بعد ... فلن أترك يدك ألا وقد اخذتِ قرار بالحجاب وللباس الشرعي وتنفيذ فرض الله فهو واجبٌ عليكِ، وربما النقاب .. ومع النقاب لنا وقفة..

وقفة جميلة محيرة..

وقفة ستعلمك علم اليقين قدر المرأة في الإسلام.

فأصغي إليّ ولا تتجنبي كلامي فربما هي صدفةٌ او حكمةٌ ربانية أراد الله بها أن يهديكِ السبيل.

في غزوة من غزوات الرسول وهي غزوةٌ حبيبةٌ إلى قلبي، ألا وهي غزوة بني قِينُقاع وقوم بني قينقاع هم يهود يعملون في الحدادة والصاغة وكان جمهم أشجع فرسان المدينة ويملكون الآت الحرب ونقضُ العهد مع الرسول الذي أعده منذُ أن حضر المدينة، وكان بداية الغزوة إنَّ امرأةً من العرب دخلت إلى سوقهم لتشترى منهم ذهبَ، وقد جاءت بـجلبٍ (أي بشيء تبيعه من البضائع) ثم باعته فلما تمولتْ، أرادت أن تشتري ذهبًا فجلست إلى صائغ، فبينما تشتري الذهب إذ راودُها الصائغ على كشف وجهها، اكشفي وجهكِ فلما لم تكشفه عقدو مع ذلك شوكة دبوس في زيلها وهي جالسة تشتري منهم وربطوا الزيلَ

في كفاها حتى يشلح زيلُها إذا ما أقامت منتصبة، فلما قامت المرأةُ منتصبة بانَ بعضُها فصرخت، وهكذا كُنَ النساء قدميًا كانت المرأةُ مع ذلك تعلم قدر الحِجاب وإنه من غلاوتها كان لا ينبغي أن يظهر بعضةٌ منها، فلما قامت وانتصبت وبانت بعضُها صرخت، وكان في السوق مسلمًا قتل اليهودي دفاعًا عن المرأة فأجمعوا عليه اليهود في السوق فقتلوه، فشَّن رسول الله صل الله عليه وسلم حصارًا خانقًا على بني قينُقاع وقطع عنهم كل شيء.

ففكري! نعم فكري وتأملي كيف أن الرسول على الفور جمع جيشًا ليحاصر بني قينُقاع جميعهم وكاد يقطع رقابهم لأجل من؟ لأجل ماذا؟

نعم سنقول لأنهم نقضوا العهد، لإنهم قتلوا مسلمًا، لكن لو أطلقتي لعقلك العنان ستجدين أن المرأة التي بان بعضُها كانت الأساس، ألم يعلمك هذا المشهد قدرك؟

ألم تعلمي قدر التستر؟

ألم تدركي معني الحجاب، النقاب؟

هل يستحق الرسول منكِ هذا يا حبيتي؟

الرسول الذي ذاقَ شتى أنواع العذاب ليصل هذا الدين إلينا أيستحق؟

الرسول الذي بكى شوقًا إلينا ألا يستحق؟

بلى يستحق، يستحق أن تلتزمي بما فرضه الله ورسوله لتنالي الجنة، لتري الرسول عند الحوض وتشربين من يديه، لتجلسين في الجنة معه،

وتسمعين صوته، وترين وتستمتعين وتتلذلذين بضحكته، ألا تشتاقي إليه؟ ألا تتخيليه عندما تقرأين وصفه!

المرأة المسلمة كالملكة، والملكة لا يمكن لأي شخص أن يراها ان يلمسها، وأن يحادثها.

وأختتم حديثي بهذه الآية التي من جعلها نصب عينيه، و وقرت في قلبه خاف الله، إليكِ فأعريني سمعك واسمعي قول الله عز وجل وهي في سورة الأنعام :[15]

(قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)

ألن تخافي عذاب يومٍ عظيم؟

أجيبي نفسك عن هذا السؤال هل تضمنين عمرك؟ هل تضمني أن تظلي حية بعد ساعة، بعد شهر، بعد سنة؟!

ماذا لو علمتِ إنك ستموتين حتمًا بعد ساعة، ماذا ستفعلين؟

فكري جيدًا في هذا السؤال، ومما لا ريب فيه هو إنك ستصلى، ستستغفري، ستلجأي إلى الله باكية أن يعفو عنك وكل ذنوب تحضر نصب عينيك ويشتد بكاءك وربما يغغر الله لكِ إن شاء، أو لا!

وبالطبع ستفكرين، كيف ستكون سكرات الموت!

كيف سأشعر مع خروج روحي!

كيف ستكون هيئة ملك الموت!

كيف ستلتف الساق بالساق؟

ماذا سأفعل ما أن يضعوني داخل القبر ويرحلون جميعًا وتأتيني الملائكة!

كيف يكون القبر هل روضة من رياض الجنة أم حفرة من حفر النار!

يوم القيامة هل سآخذ كتابي بيميني أو شمالي!

حين أمر فوق الصراط هل ستتخطفني النار أم سأمر إلى الجنة!

أشياء كثيرة في هذا اليوم العظيم، المهيب، المهول يجب ان تفكري فيها!

وتعملي لها، الجنة دخولها ليس سهل ولا هين إنها غالية جدًا!

والدنيا زائلة تأكدي من هذا إنها دار فناء!

والموت آت آت لا محالة.

فلا تأجلي فروض ربك، حبيبك، لا تخذلي رسولك البدار البدار يا حبيبتي.

وتفكري لو جاءك الموت فجأة، على ما ستقابلين ربك؟

هذا الذي آنفًا كان يخطط لمستقبله؛ كان يقول: غدًا سأفعل كذا.

كان يتمنى أن يفعل أشيئًا جمة، ويمني نفسه بفعلها لكن سبقه الموت..

كان كل همه أن يتزوج فلانة لكن خطفه الموت..

هذه التي توفت كانت تنوي أن تلتزم بلباس الشرعي لكن ملك الموت عاجلها..

كانت تنوي أن تحافظ على صلاتها وتجعلها هي الأول والأخير وإن لقاءها بالله في اليوم خمس مرات هم جم همها، لكن أتاها الموت قبل أن تُذوق حلاوة الصلاة، المرء محال ان يضمن عمره.

وتذكري أن كل نفسٍ ذائقة الموت وبعد موتك لن تكوني اي شيء في هذه الحياة، انتِ ستموتين وستستمر الحياة كما هي الفرق الوحيد سيكون إنكِ إذا خطرتِ على بال أحد قال: يرحمها الله، يرحمه الله.

أخي/أختي ما دمتما تقرأن كلماتي فلا تيأسا، لا يزل أمامكما فرصة التوبة إلى الله، رب العالمين باب مغفرته دائمًا مفتوحًا سيقبلِك وسيقبلَك فقط أذهبوا إليه.

تاه بصر مريم في الرسالة، وخفق وجدانها.

إنها رسالة مجدولة..

رسالة خطها قلم أميرة قلبها، أوليس القلب امير البدن؟!

إن فقدتها فقد فقدت قلبها!

أسماء لم تعد..

الحلم الجميل الذي لم يدم تهدم قبل أن يُصنع..

أسماء بالفعل مخطوفة وقد لا تعود..

لقد سقط فؤادها في هوة الواقع..

انتزعها انتزاعًا إنها غائبة وقد تغيب للأبد..

آهٍ لو تعلم إن غيابها عذاب مُر سيظل أبد الدهر غصة لا تزول..

مريرة هي تلك اللحظة التي تتوقف عقاربها على توديع حبيب يتعلق به القلب قبل الروح، نقف نلوح من بعيد في الفضاء إلى تلك الروح التي تسير في طريق لا عودة منه، علَّه يلتفت ويعود ادراجه..

لكن، لا.. لا هو يلتفت ولا يعود ولا يترك لنا قلبنا لنحيا به...

انطلقت صرخة أليمة من حنجرة مريم تقطع لها نياط القلب، وانهارت على الأرض،وتكورت على نفسها، وهي تضم الهاتف إلى صدرها وتهتف بقلبٌ مجروح، وصوتٍ متهدج مفعم بالآسى :

_ آهٍ يا أسماء يا أختي عودي إليّ، أعدك إني سألتزم في صلاتي وسأصيم معك كل الأيام التي تصيمين، عودي فقط يا مريم ففراقك من الآن يطعن فؤادي بطعنة لا مناص من الموت منها...

لا تقولي وداعًا..

فلا روحك ستغيب لكن ستغيب روحي..

عودي إلى رفيقتك يا أسماء القلب ولا تذرينني وحيدةً كريشة في مهب الريح..

لا ترحلي فيُلبس قلبي أكنة السواد ويشيب..

أغمضت عينيها بقوة، واعتصرت الهاتف إلى جوار قلبها، وهي تهمس بصوتٍ خفيض :

_ إن كان الفراق قريبًا يا أسماء فخذيني معك..

وسلامًا حينها لروحي وروحك معًا بالتواري تحت الثرى ..

لكن لا تقولي سلامًا بمفردكِ..

أي حزنٍ هذا الذي قد يقسم القلب إلى شطرين!!

ويقسم الروح إلي شقين..

لا تدعيني احيا بنصف جسد، وشطر روح...

فالنفس بدونك لن تذق طعم الحياة..

🌹 اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد 🌹

كانت الساعة قد تخطت الواحدة بعد منتصف الليل، عندما وصلَ (هاشم) إلى الحديقة التي طلب فيها الخاطف اللقاء، حضر في الوقت المحدد، وللحق هو بالأساس كان كل همه تلك اللحظة، وإن تمر هذه الليلة التي بدت له إنها لن تمر..

فقد كانت طويلة..

بعيدة..

ليس لها نهاية..

زوجته لا يدري كيف هي؟

بخير أم لا؟!

وهذا كل ما يشغل باله وخاطره ولُبه، بل إن هذا الأمر كان يهلك قلبه الذي تيتم في بعدها.

كان يتلفت حوله، يتأمل في الوجوه الموجودة كأنما يبحث عن مبتغاة، بلى يتفرسها على وجه الدقة، ولم يكن أُناس كُثر، إنهما بضع رجال يُعدون على أصابع اليد، فها ذا عامل نظافة يقوم بعمله، وآخر يتحدث في الهاتف وبدا كأنه يتلقَ نبإ آثار بركان غضبه، وآخر جالس على أحد المقاعد مطأطأ الرأس، لم يجد بينهما أيًا من زملائه، لكنه متأكد من وجودهما، على يقين إنهم يراقبونه الآن.

كان الليل قد غشى بظلامه الأرض فبدت حالكةُ السواد لولا تلك الأضاءه الصادرة من الأعمدة، السماء مكفهرة غطتها غيمةٌ كئِيبة كأنما تشاركه انفطار قلبه، وكان الليل موحشًا إذ توارت فيه أعيُون النجوم.

ألقىٰ (هاشم) نظرة على الحقيبة السوداء التي بيده اليسرى وتنهد وهو يقف في ذات المكان المحدد من الخاطف، ولم يلبث أن ارتطم فيه ذاك الشاب الثائر الذي كان يتحدث في الهاتف، فسقط الهاتف من يده أثر الارتطام المتعمد، وهم هاشم أن يغمعم بالاعتذار لكن الرجل لم يمهله فقد ألتقط هاتفه وهو يهتف في انفعال :

_ وهل كان ينقصني أعمي؟

وقبل أن يتدارك هاشم أي شيء، كان الرجل يدفعه بكفيه في قسوة، هاتفًا :

_ أن كنت لا ترى جيدًا فما الذي تفعله في ظلمة الليل هُنا يا هذا؟!

دون وعي انزلقت الحقيبة من بين أصابع هاشم، واختفى هدوءه الذي كان يتحلى به، وتجلى على وجهه غضب هائل قلما ظهر على صفحة وجهه، وسدد لكمة للرجل وهو يقول:

_ من الأعمى يا هذا؟!

صرخ الرجل وهو يمسك وجهه الذي سال من طرف شفتيه اليسرى الدماء، وتراجع تلقائيًا من أثر اللكمة، حتى كاد أن يسقط أرضً فتماسك وأنتصب في وقفته قائلًا وهو يمسح طرف شفته :

_ كيف تجرؤ! كيف..

وانقض على هاشم الذي أمسك بكتفيه، وضرب ركبته في معدة الرجل ودفعه بعيدًا، وتلوى الرجل من الألم..

هُنا ألتقطت أذنين هاشم حركة من خلفه، فدار على عقبيه فورًا، فرأى عامل النظافة يأخذ الحقيبة ويعدو مبتعدًا، فأطلق هاشم صيحة حملت ما يعتمل في صميمه من خوف، واندفع يعدو وراءه وقد وضعه نُصب عينيه، وثب سارق الحقيبة من فوق مقعد خشبي وركله أرضًا ليعركل سير هاشم الذي قفز بمهارة من فوقه وتابع جريه وأمام عينيه رآه يركب إحدى الدرجات النارية ويلقيه ببسمة متهكمة وينطلق، وراح أمام عينيه يتلاشى رويدًا رويدًا، لكنه لم يهدأ أنطلق خلفه حتى أنقطع نفسه وتوقف في منتصف الطريق يراقب أختفاءه تدريجيًا، فنظر حوله كالضايع وعدا إلى سيارته التي كانت تقف إلى جانب الطريق، فأتخذ مقعده وأدار عجلة القيادة، وأنطلق كالصاروخ غير عابئ بالسرعة التي وصلت لزروتها...

تجاوز هاشم كل السيارات بأعجوبة، فقد كان كالمجنون يقود، وكاد أكثر من مرة أن يعمل حادث في عدت سيارات لولا عناية الله عز وجل له، وأخيرًا بقى إزاء دراجة العامل وارتطم بجانب الدراجة في ، فـ نظر له وهو يجز على أسنانه وأسرع من قيادته لكن هاشم لم يمكنه من ذلك بل راح يرطم سيارته بالأخرى في جنون.

صوت بوق سيارة جذب انتباه هاشم وجعله ينظر أمامه ليجد سيارة تقبل عليه مسرعة، فحدق بعينيه وحاول أن يتفدها، وفي لحظة أنشغاله تلك كان العامل ينطلق بدراجته مبتعدًا وهو يطلق ضحكات ظافرة، بينما كان هاشم يحاول ان يتفادى السيارة التي بدت كأنها تريد الاصطدام فيه وفي آخر لحظة وعلى بُعد سنتميترات قلائل من تلاقي السيارتين انحرف هاشم جانبًا، ليضرب ضوء قوي عينيه، شوشت رؤيته وهذه المرة كان لا مفر من الاصطدام لا محالة..

ولا مناص من النجاة...

وضربت السيارة سيارة هاشم بقوة، فأنقلبت رأسٍ على عقب...

يتبع ...

#لحظة_غياب

#ندى_ممدوح

الفصل الثالث

لحظة غياب

(قلب لا ينبض)

ساعاتٍ شاقة تلك التي مرت على هاشم..

سويعات ظن فيها إن قلبه توقف عن النبض..

وإن حنايا صدره باتت مثخنة بالجراح التي ليس لها دواء..

وشعر إنه يذق طعم العجز والكدر لأول مرة ... ويا له من ألم مضني هذا..

هذه المرة الأولىٰ التي يحس فيها إن وجوده ليس له سببًا، وجوده هباءً، فما معنى أن يكون مقيدًا عن استعادة زوجته .. قُرَّة عينه، وحبَّة القلب تلك التي كانت كحورية هبطتت من السماء تضيء فقط ثناياه، وتسبغ عليه بوارف حبها فتترع فؤادهِ بالحنان، كوردة هي فتحت أَكْمَام قلبه، وفي طرفة عين أو كلمح البصر ذُبل قلبه وشاخ.. وكبر وشاب ولم يعد به إلا التقرح الدامي..

تجمع ثُلَّةٌ من الرجال حول السيارة المنقلبة علىٰ رأْسِها يميلون بروؤسهم نحو النافذات ينظرن إلىٰ الداخِل عَلّهُم يتراءى لهم شيئًا، وحسبوا إن من كان بداخلها قد لقىٰ مصرعه حتمًا، لكن ..

فجأة! ودون سابق إنذار، برزت راحتين تلتصقان بالأرض، تلَاها ظهور رأس مطأطأة؛ وخرج جسد (هاشم) وهو يزحف من أسفل الحطام بَذِلَا

قصاري جهدهُ، وراح يسعل في تعب وهو يعتدل واقفًا ممتليءٍ بالندوب والخدوش، وأحاطوا به الرِجال إحاطة السوار بالمعصم، وما كاد يستجمع شتاته، حتى أتاه صوت قُرب أُذنه مباشرةٍ من الوراء، يقول في غلظة :

_ يمكنك أعتبار ما حدث لك قرصة أذن فقط لا غير، لماذا جئت برجال الشرطة معك؟ أنتظر مني اتصالًا آخر في مكانٍ آخر أحددهُ أنا، ولكن حذار أن تأتي بأحد معك وإلا أقسم لك أن يصل لك رأس زوجتك في صندوق ...

كانت الكلمات تنساب بسرعة من فمٍ غليظ، و (هاشم) متجمدٍ في مكانه، حتى ما أن أتى سيرة زوجته، حتى دار على عقبيه في عجل، فلم يجد أحد ...

بالأحرى لم يعرف من بالتحديد من زمرة الرجال وأوصواتهم العالية سؤالهم عنه لكنه لم يبال..

كان غائبًا من الأساس...

وراح يدير عينيه في الوجوه، عله يعلم من هذا الشخص!

لعل من يدرِ!

لكن لم يصل لشيء، فلم يذه هذا إلا ثُقلًا على قلبه..

هل جربت يومًا ثقل القلب؟! فهو أقسى وأمر من ثقل العاتق لو تعلم!

ثقل لا مفر منه يظل يتكاثف دون أمل من أن يخف الحمل حتى يؤدي بدفن القلب حيًا.

دار كل هذا في ذهن (هاشم) وهو يستقل سيارة أجرة عائدًا من عند مديره، ذاهبًا إلى منزل حبيبته، عساه يجدها هنالك ويجد إن كل ما حدث حلمًا عظيمًا على نفسه، لماذا حين نود لشيء إن يكون مجرد حلمًا فلا نستيقظ منه ولا يكون كذلك؟

لماذا الحياة تؤلمنا!

لِمَ فقط تصفع قلوبنا بالأوجاع!

عَمَّ نتحدث؟ أعن ما مررنا به؟ أم عن هموم قلوبنا؟

أم عن تلك اللحظة التي تنزع منا السعادة إلى الأبد، تلك اللحظة التي لا يعود بعدها أي شيء كما كان؟

فاق (هاشم) من قوقعة غيبوبته المؤقتة، فوجد نفسه مكبلًا في نكبته، كأنما هو على جرفٍ هار انهار به في بئرٍ يفيض بالأشجان، تسمرت قدميه أمام باب شقة حبيبته فإذا بالذكريات تتلقاه، والحنين يغمره، وذرفت آماقة يعزُ عليه أن يعود وهي لست معه، كفكف دمعه ونَهْنَهَه، ونصب قامته كأن الدمع لم يطرق أجفانه توًا، وفي ثبات حازم مد أصبعه المرتجف ليرن الجرس، فأتاه صوت والدته، يبدو إنها منذُ خبر فقدان أسماء ولم تذرها بمفردها، صُنعت خيرًا بفعلها، وفُتحَ الباب وتلاقت عيناه بعينين والدته الباكيتين، فانجلى ثباته هباءً كأن الرياح قد ذرته وإذا بالدمع يملء مقلتاه وهو يحدق فيها كرجل كهل جارت عليه السنون، وقصمت من عمره، ففتحت والدتها ذراعيها وتلقفته في حضنها وسقطا أرضًا وهي تضمه...

هُنا فقد سمح لعيناه أن تستمطر الدمع كما تشاء...

وعلا بكاءه يبكي الحجر، واندفع يقول بصوتٍ واهي :

_ أسماء يا أمي، لقد أُخذت أمام عيني، لم استطع أن أحميها انا فاشل يا امي لا استحق أن احيا...

ثم اتبع بصوتٍ رجراج :

_ إن لم تعُد إليّ كيف أعيش! كيف بدونها؟ آه قلبي يا أمي، يؤلمني..

مسدت أمه على رأسه بيسراها، وهي تعصر جفنيها عن الدمع وتضمه بشدة، مرددة :

_ ستعود لك يا بني، ستعود إن شاء الله، كفاك حزنًا فخالتك لا تتحمل، تماسك لأجلها يا حبيبي.

شدد (هاشم) من ضم امه كطفلٍ صغير خائف، لأول مرة يبكي..

لأول مرة تذق عيناه طعم الدمع..

وحق للعين أن تبكي..

فمن يبكيها لست أي حد..

إنها وتين القلب ومهجة الروح..

هتف (هاشم) من أعمق أعماق قلبه :

_ لماذا يا أمي يأتي الفراق ؟ لماذا يا حب يأتي الفراق، وتندثر فرحة المرء في غمضة عين، وينزوي الأمل تحت الثرى، ويستقبلنا الحزن بأعظم أستقبال، ويتلقانا الوجع دون نسيان ، أليس لكل شيء نهاية يا

أمي؟ لماذا إذن أشعر إن لوجع قلبي لن يكون نهاية! كيف للقلب أن يكف عن البكاء يا أمي أن كفت عيني؟

🌹 اللهم صل وسلم على نبينا محمد 🌹

اعتدل هاشم بعد وقتٍ طَويل من فوق ساقين أُمُهُ على إحدى الآرائك في صالة المنزل، وبدا له إنَّ أسماء تقبل من غرفتها، تعبر الصالة نحوه ضاحكة، مشرقة المحيا فتبسم فجأة ، وضحك قلبه قبل أن تضحك عيناه، ولاحت منه نظرة في أرجاء المنزل فإذا بالحزن يسود قلبه مجددًا وإذا بصورتها تختفي من أمامه، فراحت عيناه تدوران بحثًا عنها..

لكنها لم تكن..

كانت مجرد خيال وتلاشى..

كانت سرابًا جرف كل أمله، وحياته، وشغفه..

وإذا بذكرى حبيبة تُحييه يوم إن عقد عليها، يومئذٍ جلسا معًا، كانت أول جلسة يجلساها بمفردهما دون ثالث، دون عائق، دون قيود..

حينها ضم كفها الرقيق الناعم في راحتيه وقبض عليه في قوة لم تخل من الحنان، وهمس بنبرة تحمل كل حب الدنيا وعاطفتها :

_ لا تتصوري سعادتي اليوم بزواجي منكِ، لا أصدق إنكِ أصبحتِ ليّ شريكة لقلبي وحياتي و وجداني، أرجو من الله ألا يحرمني منكِ فأحرم من نفسي وأحيا ميت بلا حياة.

اصطبغ وجهها بحمرة الخجل، وهي تطرق في استحياء.

لا تكاد تصدق إنها أمست له.

صارت زوجته امام الله وأمام الناس..

أصبح منها وأصبحت منه..

وألتقت روحيهما وإلى الأبد دون أن يفارقهما أيَّ فُراق..

يا له من شعور لا يمكن وصفه..

يا لها من سعادة تحلق بالقلب في سماء الحب لتنثر ورورد الهوى..

تنبهت من شرودها إلى صوته الحاني، يسأل :

_ ألن تقولي شيئًا، أمَّا إنكِ تنوين حرماني من صوتك اليوم؟

أخبريني بما تتمنين، أطلبي ما تشاءيين وستجديه بين يديكِ في الحال إن كان في مقدرتي.

هزت أسماء كتفيها، وغمغمت :

_ لا أتمنى شيئًا، ما تمنيته قد حصلتُ عليه.

رفع هاشم بسابته ذقنها فألتفتت بجسدها تلقائيًا إليه، وتلاقت عسليتها بسوداوتيه، ونطقت العيون بحديثٍ صامت نفذ إلى القلب وتشعب في الأعماق..

سأل هاشم في صوتٍ خفيض كأنما يخشى أن يرفع صوته قليلًا فيقطع تلك اللحظة العاشقة بينهما، ولم يكن يود ذلك!

كان يبغى أن يشبع من عينيها..

وأن يروي قلبه من حنانهما.

ويسكن فؤاده إنها باتت ملكه وإلى الأبد.. :

_ وما كانت أمنيتك يا كل امنيات حياتي؟!

تعلقت عيناه بشفتاها التي انفرجتا ثانية وأنضمتا، ثم همست بصوتٍ خفيض وهي تسبل عينيها :

_ أنت، أنتَ يا هاشم.

حمل صوتها كل ما يكنه قلبها من حب، وهي تنطق اسمه بتلك النغمة الموسيقية، لكنها حجبت عسليتها عن عيناه فمال وقبلهما برفق وحنان، كان لأول مرة يقترب كل هذا القرب.!

أن تجلس بجانبه..

يضم كفها..

تلامس شفتاه عينيها المغمضتين..

فشهقت متفاجئة، مندهشة فتراجع مبتعدًا بوجهه، وقهق قائلًا :

_ لم افعل شيئًا يا أسماءي.

ونظر أمامه معتدلًا في جلسته كاتمًا بسمة لأول مرة تزور قلبه، بينما كتمت هي فمها بكفها الذي ارتسمت عليه أروع البسمات.

مرت لحظات، قبل ان يتنهد قاطعًا الصمت بينهما، وهو يعيد سؤاله في ألحاح :

_ لم تخبريني بعد، ماذا تتمنين؟!

ونظر إليها فتبسمت في إحراج، وهي تتحاشى النظر إليه، وقالت بغتة بنبرة هائمة متفعمة بالشغف :

_ أتمنى أن يتمم الله ليّ زواجي بك، وأن يحميك ليّ من كل شر، ولا يأذي قلبي بما يضرك، وأن يظل الحب قائمًا بيننا حتى الممات..

وتنهدت في لهفة حالمة وهي تسترسل في هيام :

_وأن يرزقني الله منكَ بأطفال يملئون حياتي وحياتك، يخيل إليّ الآن إني أحمل طفلتك نرتدي ذات اللون ونفس تفصيلة الفستان.

والتفتت إليه تقول في حدة مباغتة :

_ ابنتنا من صغرها لن تلبس إلا الفستان.

أحاط كتفيها بذراعيه، وقرب وجهه من وجهها وهو يقول :

_ ستكن نسخة منك، ستكون لدي طفلتين وليست طفلة ساهتم بهما، يتراءي ليّ الآن إننا نجلس على سجادة الصلاة ذاك المكان الذي خصصته للصلاة على طلبك ونقرأ القرآن معًا، وأغزالك بالكلمات تارة وأداعبك، وتارة أثير جنونك وغيظك وتتعصبين وتسامحين وتحفظيني القرآن وابنتنا تجلس بيننا تنظر إلى أبيها وامها المجنونين وتتضاحك ببراءة مثل أمها، ستشبهك أشعر بذلك.

_ ليته يتحقق سريعًا، فما ادري لِمَ ينتابني هاجس أن كل هذا سيظل حلمًا، وإني سأحرم منك و نفترق.

فور ما نطقت ما نطقت اعتصرت قبضة باردة قلبه، وغصة مريرة حسرت الكلمات في حلقة، فإذا به يجذبها إلى حضنه، لتتوسد رأسها صدره وتسمع دقات قلبه الخافقة وهو يقول بكل لهفة وخوف الدنيا :

_ لن يحدث شيء، لن نفترق أبدًا، ولن أقول وداعًا قط، سأحقق لكِ هذا الحلم قريبًا.. قريبًا جدًا يا نجمة قلبي المضيئة لن تنتطفئين قط بداخلي ولن ينطفئ حبًا بل سيظل ينمو ويثمر أطفالًا.

وقال ضاحكًا وهو يسند رأسها على رأسها مسبلًا جفناه :

_ نحن سنأتي بالأطفال لكن ليكن ببالك سنتركهم لوالدتينا لن ننشغل بهم يا حبيبتي، ماذا في العمر لأقضيه بعيد عن ذراعيكِ؟!

استطاع بمرحة اللطيف أن ينزع ضحكة صافية من صميمها.

فاق هاشم من كل هذا والدموع تترقرق في عينيه، وكفه يتلامس مكان جلوسها بحنين جارف..

كانت هي ذات الأريكة التي احتوتهما حينذاك، شهدت حبًا لم يخبو يومًا ولن يفعل..

حب ظل ينمو يومًا بعد يومٍ حتى ملأ حياتهما ومزج روحهما وخامر نفسيهما معًا.

أغمض عيناه في عنف كأنه هكذا يَئِد الذكرى من حيثُ جاءت، وهب واقفًا وهو يدور في الصالة كالطير الجريح، وأحس باختناق كاد يوقف قلبه..

فقد ألتقط جاكته من علىٰ المشجب، وخرج صافقًا الباب خلفه، وهبط الدرجات وهو يرتديه في عجل، و وقف أمام البناية يدير عيناه فيما حوله، ثم أخذ نفسٍ عميق وقال وقد أحكم ياقة معطفه حول عنقه :

_ يا لها من ليلة باردة!

وراح يسير وهو يدس كفيه في جيبي جاكته، ولم يلبث أن التقطت أذنيه المدربة على دبيب قدمين وراءه، أحدٍ ما يراقبه لا ريب!

أحدًا ما خلفه!

وهو يروقه لعبة القط والفأر تلك!

بسمة متهكة افتر عنها ثغره وهو ينزع كفيه، ويبطء من حركة سيره، بسبب ظلمة الليل، والسحب التي تحجب القمر ونجومه فقد كان الليل شديد السواد، فلم يمكنه ذلك من الرؤية جيدًا، لكن أذنيه كانت تفعلان لا غرو!

فجأة! ألتفت للوراء وهو يميل برأسه للخلف فمرت حديدة من فوق وجهه كادت تطيح بعنقه، وفي غمضة عين وقبل أن يعتدل وبقبضة فولاذية قبض على معصم الرجل وهو يعتدل مسددًا له لكمة قوية حطمت أنفه واعقبها بأخرى جعلتها كاللحم المفري.

لا شك إن الرجل لم يدرك ماذا حدث بسبب سرعة هاشم الذي بدا كأنما ينفث عن غضب لا محدود، فحاول نزع يده إلا إن هاشم جذب منه الحديدة وهو يدفعه ليسقط على ظهره أرضًا، وألقىٰ الحديدة بعيدًا، ونظر له وهو يلهث، فرآه يحاول النهوض مترنحًا ويمسح بكم ساعده الدماء النازفة من فمه، و وقف أمامه مع هتاف هاشم الحاد :

_من أنت يا رجل، لماذا تريد قتلي؟ ما الدافع والغرض؟

أجابه الرجل في مقت :

_ لم أكن أنوي قتلك يا هذا، لكني .. الآن انوي بالفعل ...

وقرن قوله بإن استل مسدسه وصوبه نحو صدر هاشم مباشرة، وضغطت سبابته على الزناد دون أدنى تفكير وهو يغمغم :

_ وداعًا يا رجل الأمن.

ودوى صوت الرصاصة مخترقًا سكون الليل وهدوءه، وسطع بريقها في الظلام، لكن ما حدث يثير الدهشة، فالرامي اجاد بالفعل التصويب على الهدف.

لكن المشكلة إن الهدف لم يكن في مكانه قط، فقد تحرك هاشم في لمح البصر وقفز جانبًا ولم يمهل القاتل، بل انقض عليه وركلة ركلة قوية على ذراعه أطاحت بالسلاح، ثم أعقبها بلكمة قوية في معدته انحنى لها الرجل وهو يتأوه في ألم، لكن هذا لم يثنيه عن قتل هاشم فقد أخرج مدية حادة أشهرها في وجه هاشم الذي تراجع، وهاجم القاتل بالنصل الحاد على صدر هاشم الذي قبض على معصمُه بقبضتيه قبل أن تبلغ صدره، وبدا الرجل شديد الرغبة في قتله فدفعه هاشم بعيدًا ورمى نفسه على

السلاح الملقي ارضًا وتناوله في خفة وهو يسقط على ظهره ويطلق على ذراع القاتل، الذي قبض على ذراعه الذي اخترقته الرصاصة وهو يصرخ من الألم والذهول.

وثب هاشم واقفًا، والقاتل أخذ يعدو في الطريق فأنطلق وراءه..

لم يكن هاشم ليتركه..

وقد ساوره شك إن هذا القاتل من طرف خاطف زوجته..

وكان له القشة التي يتعلق بها الغريق من بحر أشجانه..

لذا، فقد انطلق وراءه بكل سرعته وراح يركض ويركض دون أن يلوي على شيء، شيء فقط كان نصب عينيه؛ ألا وهو القاتل الذي كان يمسك ذراعه ويركض ولكن بغتة خرجت سيارة أمامه وسطع نورها في وجهه فتوقف ثانية وقد ضاق الطريق بسبب اصطفاف بعض السيارات من كلا الجانبين فقفز على سقف إحداهما وأخذ يثب من سيارة إلى أخرى وهاشم وراءه حتى ما إن انتهى اصطفاف السيارات قفز القاتل وركض تجاه سيارة وقفت امامه مباشرةً وفُتح بابها فصعد فيها وهو يلوح بكفه لهاشم في تشفى.

وقف هاشم لحظة وأمامه سيارات تمنعه من القاتل الذي راحت السيارة تبتعد وهو في داخلها، فأسرع قافزًا على السقف السيارة الآخرى وقفز في الهوى ليلقي بنفسه محاولًا الإمساك بسيارة القاتل الذي أخرج يده من نافذة السيارة ورمى بورقة، وثب عليها هاشم وألتقطها وفضها في لهفة، والتهمت عيناه محتواها الذي كان (تعال غدًا إذا اردت زوجتك هذا هو العنوان ***** فقد تغير)

تنهد هاشم تنهيدة طويلة مفعمة ببصيصُ من نور، وهو يضحك جاهشًا في البكاء ونظر إلى السماء وأخذت البهجة قلبه...

وملأته دون أن يغادر القلق قلبه...

سكنه ارتياح مخمورٌ بالقلق وشعورٍ عجيب..

سيجدها وغدًا أليس الصبح بقريب؟! لماذا يشعر إن ليل تلك الليلة طويل لن يمر بسرعة، كأنه يمر على دقات قلبه المتألمة.

وبقى سؤال يحير كيانه كله .. لماذا أرادوا قتله؟!

ولكن لا يهم، لا تهم حياته، ولا يهمه نفسه.

كان كل ما يؤلم به هو ذاك الحنين والشوق الذي يعصف به عصفًا لرؤية حبيبته.

🌹اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد 🌹

ضغط هاشم فرامل سيارته، وهو يوقفها أمام مخزن بدا متهالكًا في ذات المكان الذي حدده الخاطف، ودارت عيناه تفحصان المكان بعيني نصر ثاقبتان..

كان قد بشر والدته وخالته وصديقة زوجته إنه سيعيدها اليوم أو لن يعود..

تركهن جميعهن تطيرن فرحًا وسرورًا وها هو يقف الآن خامد بركان الغضب الذي يعصف في داخله.

ثم غادر السيارة، وهو يقول :

_ إذن دعنا نعرف من أنت أيها الجاني على نفسك بالموت!

و وقف عظيم القامة، رافع الرأس، ناصبًا جسده؛ أمام المخزن الذي وجد على وجهته ورقه لم يجذبه فيها إلا اسمه الذي كُتب أول كلمة فيها أتبعها بـ (هاشم.. أحسنت يا صاح لمجيئك، هيا أقبل وأدخل زوجتك بالداخل بالفعل)

أشاح هاشم نظره عن الورقة ومد كفه ليزيح الباب الضخم الذي كان مواربًا ودخل وأدار عيناه في المكان في حذر وترقب، وعبر الباب ماضيًا للداخل عيناه تتفحصان كل شيء بدقة، أخشاب عدة مصفوفة فوق بعضها، درجات سلم بدت كأنها آنفًا تم بناؤها، أوراق لكراتين مكتظة ملقاة بإهمال تدل عن مكان تم تشيدها من أشهر قلائل، سُطُول بها مواد طلاء، كل هذا لم يشغل باله وهو يرتقي الدرج للأعلى في ترقب ويمناه تضغط على سلاحه القابع في غمده، وما إن وطأة قدميه السطح الذي كان دون سوار، اخترق أذنيه صراخ من أفواه عديدة، تأتيه من صندوق ضخم حديدي، فاستل سلاحه وهو يندفع نحوه، وحاول فتح القفل الذي بدا عصيبًا للغاية، فاسند السلاح جانبًا وهو يرمي أذنيه مع أصوات الصراخ الآتية من داخل الصندوق وهو يمني نفسه أن تكون صوت زوجته واحدٍ من تلك الأصوات، وأخذ يعالج ريتاج الباب حتى أفلح فرمى بالقفل دون اكتراث وسحب الباب الضخم وهو يلهث من شدة التعب، ثم

وقف وراحت عيناه تلتهمان وجوه الفتيات بكل لهفة الدنيا، وصوته يحمل كل شوقه ولهفته وهو يهتف :

_ أسماء، أسماء أين أنتِ؟

أخذ يردد اسمها، وعيناه تدوران في الوجوه مرة..

وراء مرة..

وفي كل مرة تخبو بسمته..

وتنقشع لهفته..

وينزوي حنينه في ركنٍ قصي داخل قلبه يجلس كطفلًا صغير خائف يترقب.

أيا قلب مهلًا لم يأن الآوان لتقف..

يا روح اهدئي لا تثوري ولا تجني فالحبيبة حتمًا ها هُنا..

يا عيون لا تبكي فيكفي مآقي القلب تسيل..

أي قلب قد يتحمل كل هذا؟ فلا يعلم أهي بخير فيهدأ..

أم تعاني فيعذب نفسه..

لم يجدها، لم يجد عيناها التي كانت تضمه بكل حنو وحب قبل يديها..

لم يجد مقلتيها التي كانت دائما ما تبثانه بالقوة والبسالة..

لم يجدها تركض إليه وتتوارى بين ذراعيه باكية من قسوة هذا البعد ومعاتبة على تركه لها وحيدة تعاني الخوف بمفردها..

لست هُنا ويا ليت القلب الكامن بداخله يمكنه الهدوء..

التوقف عن النبض بجنون..

التوقف مدى الحياة..

انساق إلى الموت هو حتمًا..

فعدم وجودها هو موت بحد ذاته

دق قبضته على الباب، وهو يصرخ ويدور في مكانه :

_ أقسم بأني سأقتلك، أقسم بالله العلي العظيم إني سأذيقك كل هذا الألم الذي عيشتني به، أقسم إن مسها شيء لأدمرك.

ولمح، لمح من بعيد على سطح إحدى البنايات المقابلة، رجلٍ يختبء خلف الحائط ويراقبه، فعلم إن له شأن فيمَ هو فيه، فتميز غيظًا، وتفجر غضبه، وهو يهتف في مرارة :

_ لن أضيعك هذه المرة، لن تفلت مني أعدك..

واندفع يعدو على السطح و وقف فجأة حائرٍ إلى البناية المقابلة، كان لا بعد له من القفز، فإمَّا أن يهوى صريعًا أو أن يحالفه الحظ، ولم يترك وقتًا للتفكير، ولم يضع هذا الأمر يأخذ إلا مقدار ثانية واحدة، وإذا به يتراجع لينطلق بكل سرعته ويقفز وهوى..

هوى جسده بقوة لتسحبه للسقوط، فنظر إلى بُعد الأرض وأغلق عيناه في عنف.

يتبع ...

#لحظة_غياب

#ندى_ممدوح

الفصل الأخير

(وغربت الشمس)

وهوىٰ جسد هاشِم مِن شاهق..

لم يكن هناك مفر مِن السقوط..

فكان لا بُدَّ منه..

لكن الأمر لم يبد له صعبًا، فبينما هو يهوى، إذ رصدت عيناه إحدى المواسير البارزة، فمد يديه دون تفكير واندفع إلى الأمام وتشبث به، بلى على وجه الدقة ضمه بكفيه وساقيه وبكامل جسده، وأسرع في ثانية يتسلقه بمهارة وخفة لأعلىٰ، وما إن وصل لنهايته وثبَّ علىٰ السطح، فوقعت عيناه علىٰ ذاك الرجل الملثم الذي كان يراقبه، فبدا في حدقتا الرجل الدهشة، وظهر عليه إنه كان يتقدم لينظر لجسد هاشم مطروحًا على الأرض، ولم تلبث الدهشة في مقلتاه إن زالت واستقر مكانها الغضب و ولى مدبرًا، وجرى يسعى للفرار واثبًا من سطح لأخر، لكن..

هاشم لم يكن بالرجل السهل، فكان له مِرصادًا، وراح يعدو وراءه.

يثب من سطح فيثب كذلك..

يعدو فيعدو..

كان كشيطان مترصادًا لبني البشر، يركض بسرعة غير طبيعية لا تضاهي سرعة الرجل...

وراحت المسافة تنزوي بينهما..

تتلاشي تدريجيًا..

وفجأة! وبينما يعدو الرجل، قبضت قبضتين فولاذيتين على كتفيه وأدرته في عنف وهي تنزع ما يخفي وجهه..

وهتف هاشم مندهشًا وقد بلغه، مصدومًا وهو يحدق في وجه الرجل :

_ أهذا أنت؟ لا أصدق!

فغر الرجل فاه للحظة سرعان ما صاح وهو يدفع يدين هاشم :

_ بلى، هذا أنا! مفاجأة لم تخطر على بالك، أليس كذلك؟

وفي لحظة غدر، وفي غمرة صدمة هاشم الذي لم يستدرك شيء، دفعه الرجل في عنف من صدره من أعلى البناية، وأنطلقت صرخة منفعلة من فم هاشم باسم الرجل في غضب وجسده يسقط فوق الأرضية، وانطلق الرجل مبتعدًا بعد ما رمقه بنظره مقيتة.

اصطدم جسد هاشم في الأرض على ظهره، بألآمٍ لا حصر لها، ولا مقدرة لأحد على تحملها، لكن هاشم لم يعر لها بالًا، ربما لأن ألم القلب أقسى وأصعب من ألم الجسد.

ربما لأن ذبح الروح أشد قساوة من جروح البدن.

نعم يتذكر، وشريط سينمائي يصول ويجول في ذهنه في تلك اللحظة كل محورها هذا الرجل فقط.

منذُ ما أخبرته أسماء زوجته عن مدرس عاكسها ولم يكتف، بل حاول التحرش بها، فثار جنونه وافتعل معه عراكًا حاد، لكنه لم يشف غليله، وكان لهذا المدرس لبالمرصاد حتى إذ لاحظ عليه إنه يتحرش بعدة فتيات دون خجل من نفسه، ومن ربه حتى أقسم إن يودعه في غياهب الجب.

وبالفعل! لم يهدأ له بال إلى أن وضعه خلف القضبان حينما حاول الأعتداء على إحدى الفتيات، يبدو إن الرجل ينتقم منه هو بالتحديد، ولينتقم هو لا يأبه لكن لا يأذيه في أسماء، فلو أذاه فيها لن يبقى له شيء ليحيا لأجله، سيكون حيٌ ميت، بقلب ينبض ولا ينبض، وبروح هائمة لا تجد موئلًا.

ما أصعب تلك اللحظة التي تظن فيها إن قلبك يتوقف عن النبض، فلا أنت تموت ولا أنت حي.

لكن متى خرج هذا المدرس؟!

كيف اختطف زوجته امام عينه وهو مكبل الذراعين!

أنَّى لقلبه التحمل!

لكنه سيعيدها، فقط لينهض ويتابع عمله ويُعيد الفتيات ولن يترك زوجته، لن يذرها مع حقير كهذا قط، فقد ليقع في قبضته وهو سيُريه كيف يقاتل الرجال، سيعصر عنقه في قبضتيه بلى رحمة، فقط ليجدها!.

في صعوبة وتهالك اعتدل هاشم من رقاده، ودارت عيناه من حوله بنظرة خاطفة، ثم نهض متهالك الروح، متعب القلب، مثقل الجسد كأن جبال من الهموم راسيات فوق كاهله.

🥀 اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد🥀

ما أعظم هذا اليوم الذي يُبدِئ فيه صاحبه بتلاوة القرآن، بالجلوس مع كلام الله قبل كل شيء، يستفتح يومه بأعظم الكلام؛ كلام الرحمن.

أليس القرآن بشفاءٍ للصدور؟!

ودواءٌ للندوب، ندوب القلب وندوب الروح وندوب النفس!

بلى! هو كذلك بل أَجَل من ذلك كله، وأبهى.

طوبي لمن امتلأ قلبه بالقرآن قبل لسانه..

هنيئًا لمن عمل به فعلًا لا قولًا.

ويا حظ من حفظه فكان له نورًا أعظم من كل نور؛ إذ نور القلب هو..

وسراجٌ منيرًا ينير عتمة صاحبه مهما ذادت الظلمة سوادًا.

منذُ أن علمت أن هاشم ذهب للإتيان برفيقة عمرها، وقلبها، وهي تستطيرُ فرحًا، كلا إن الفرحة لا تسعها، البهجة غمرة سويداء قلبها حتى شعرت أنها كفراشة تخفق بجناحيها لتطيرُ بعيدًا تبحث عن بغيتها وتذهبُ إليها، كانت تجلس على سجادة الصلاة ركنها الأمن التي تلوذ به من كدر الحياة ولؤمها، تقرأ في مصحفها، والبسمة منبلجة على ثغرها الذي يرتل

القرآن ترتيلًا، إما أُذنيها فمغرقتين في صوتٍ سجي كانت تحب تلاوتة حبًا جمًا، في صوت أسماء هو غارق.

يااه أسماء! كما اشتقتها؟

كم علمت إن حياتها لا شيء بدونها؟

وإن غيابها هو الموت على قيدُ الحياة.

كانت قد أعدت كل ما تحبه رفيقتها من طعامٍ وشراب، كأنه يومُ عيد، وفجأة! خطر ببالها شيء، فصمتت شفتاها، وشردت مقلتاها، وأدارت وجهها إلى خزانة ملابسها وظهر بريق لامع في حدقتيها، مع ذكرى حبيبه ترفرف في قلبها، فترقرق الدمع في عينيها وأعادة نظرها إلى المصحف وإعادة قراءة تلك الآية التي آثارت الذكرى "{ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }

[سُورَةُ الأَحْزَابِ: ٥٩]

يا لها من آية عظيمة القدر، حبيبة إلى القلب، قريبة إلى النفس، توقر في القلب لمن قراءها بعين فؤاده.

تجعله مطمئن القلب، متشوق أن يُقرن مع زوجات الحبيب محمد ونساء المؤمنين..

الآن فقط أحست بطعم هذه الآية وتذوقتها، ألهذا السبب كانت تلحُ عليها أسماء؟!

ألهذا السبب أججت هذه الآية ذكرى هدية أسماء لها بنقاب!

لن تنسى قط عبراتها التي لا تزل منقوشة على ثنايا الفؤاد بخطٍ من ذهب

" خذي هذه الهدية لكِ، فأنا كلي يقين إنه سيأتي يوم وترتديه وأنا أيضًا "

"كيف أنتقي لنفسي نقاب دونك؟! وهل الرفيق إلا شطر القلب، والروح والنفس والحياة"

"وهل تكتمل فرحتي بالنقاب دونك"

"يومًا ما سنرتدي النقاب معًا انا وأنتِ سنكن من نساء المؤمنين، وكلي شوق لهذا اليوم، وأأمل أن يأتي قريبًا"

لم تشعر مريم بعبراتها تهطل وتسيل بغزارة وهي مسبلة جفنيها والذكرى والكلمات تنهال عليها كأنما تحياها، وإذا بها تغلق المصحف وهي تردد " صدق الله العظيم "

ولم تلبس ان نهرت وزجرت نفسها ولامتها وهي تضرب بكفها جبهتها مغمغمة :

_ لا تقولي يا مريم صدق الله العظيم، فإنها بدعة كما أخبرتكِ أسماء، إنها بدعة لم تصحُ عن الرسول ولا الصحابة.

فلقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه: اقرأ علي القرآن، فقال: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ـ قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.

فإذا كان قول صدق الله العظيم عقب التلاوة واجب، لكان لا شك الرسول أحق من يقول، ولا ريب أن الله تعالى هو أصدق القائلين ، كما قال تعالى: وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً؟

وقال الشيخ العلامة ابن عثيمين: ختم تلاوة القرآن بقول: صدق الله العظيم ـ بدعة، وذلك لأنه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه أنهم كانوا يختمون قراءتهم بقول صدق الله العظيم، وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

هرولت مريم إلى الخزانة، وألتقطتت منها علبة صغيرة ، أخرجت منها نقابٌ أسود وخمار، فضمته إلى صدرها كطفل اسال حنان القلب ببكائه،

وأخذت تشمه وتقبله بلهفة، لقد كان هدية من أعز الناس على قلبها، كان بين يدي أسماء يومًا، يا الله..

لم تلبث إن كانت قد ارتدته وشرعت تتأمل نفسها في المرآة بسعادة، وراحة لم تزور قلبها يومًا قط، تنهدت بحرارة وهي تغمغم بفرحة :

_ ستجدينني كما كنتِ تتمنيني يا أسماء دومًا، من اليوم سأتغير، سأصيم معكِ كل اثنين وخميس، وثلاث أيام من كل شهرًا هجري، سأحفظ القرآن معك، وسنتصدق معًا، سنزور دار الأيتام والمسنين من الحين للآخر، فقط عودي لأجلك، ولأجل والدتك التي منذُ غيابك قد زارها المرض دون فراق.

سكتت، وأخذت نفسًا عميق، وهي تغادر الغرفة، لترى و لتطمئن على والدة أسماء التي أرهقها المرض منذ فقدان ابنتها..

تغيرت مريم لكن ربما لن تنال سعادة رفيقتها!

ربما قد فات الآوان!

لن تصنع معها من العبادة ما كانت تأمل!

واسفاه على غدر الزمن.

واحسرتاه على قدر قد يفرق بين الأحبة دون إنذار مسبق.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد

على البحر، وفي عتمة الليل، كانت ليلةً قمراء طل فيها القمر بدرًا، وانتشرت بجانبه عيون النجوم تراقب ذاك الذي يسير بذهنٍ شارد، وعقلٍ غائب، وروحًا هائمة، كأنهم يشاركنَّ هذا الحزين حزنه، وربما كانوا يودون لو ينزلنَّ إلى الأرض ويطبطبن على قلبه الذي انغمس في الكآبة والوجع، وراح الأسى يعصف في نفسه عصفًا.

ورغم إن السماء بدَّت لامعة، تضوي، كان من ينظر إليها ليرآها موحشة، كآيبة.. تنظر إلى هاشم وترمقه في أسى وهو يسير على البحر، دون أن يشعر بشيءٍ حوله.

لن يعود إلى البيت، أنى له أن يعود من دونها، وقد بشرهم إنها آتية، أيكون سبب لزيادة مرض خالته؟!

ثم كيف سيرجع، ويجلس في مكانٍ ليس هي فيه، فإن عاد للبيت أطبقت عليه كل جدرانه حتى يختنق خنقًا قاسيًا، المنزل موحش وغيابها أوحش.

لم يرد أن يدخل على أهله مهمومًا

أحكم ياقة معطفه حول عنقه، وتوقفت قدماه عن السير كأنه تنبه توًا إن هذا ليس الطريق الصحيح، من يراه ليرق لحالته و ود لو يمسح على فؤاده ويطمئنه، دارت عيناه في المكان حوله، وأراد لو يصرخ بكل ما يعتمل قلبه المشطور من معاناة الغياب، والعذاب، لكن بدلًا عن ذلك، تسللت ذكرى حبيبة إلى لُبه، وراح عقله يسترجعها في حنان، يوم إن خرجا معًا_حينذاك_أثرت الذهاب للبحر ولم يمانع، محال أن يرد لها طلبًا، وقتها كان يسيران جنبًا إلى جنب، وكانت أول خروجه لهم بعد عقد قرأنهم، ضم حينها كفها في كفه بكل عاطفته ولم تنبس ولم ينبس، كانت خجلى واحترم هو ذلك، وترك للمشاعر هي من تتحدث، لكن ماذا يفعل لقلبه الذي في أعماقه تنبت زهرة لا ترتوي إلا من صوتها الرقيق الذي ينفذ إلى داخله مباشرةً فيبعث له الراحة، والدفء.

وقتها أسند ظهره على السور، و ولى البحر ظهره، وأوقفها أمامه وهو يحضن كفيها في كِلا راحتيه، وهمس يسألها و سوداوتيه متعلقتين بوجهها الصبوح :

_ أخبريني، لماذا تنحبس الكلمات بداخلي عندما أراكِ؟

أكتفت أسماء حينها، بإن هزت كتفيها وطأطأت رأسها في استحياء، فتمتم وهو يرفع ذقنها :

_ إياكِ إن تحرميني من عينيكِ، ففيهما أجدُ نفسي، ويغمرني الدفء، عيناكِ تضماني بطريقة أودُ لو أظل في احضانهما إلى الأبد.

فتخضب وجهها بحمرة الخجل، وهي تهمس:

_ هاشم، كفى!

فتبسم بمشاكسة، وهو يغمغم بحنان :

_ حسنٌ حسنٌ، بالأساس كل الكلمات التي كنتُ أريدُ قولها لا ادري أين ذهبت!

فأجابته في مرح :

_ ابحث عنها إذن!

فضحك، ضحكة جميلة من قلبه، وهو يهتف :

_ هكذا إذن؟

_ أجل.

جذب هاشم رأسها ولثم جبينها، وهو يقول بصوتٍ خفيض :

_ أدامك الله لقلبي مشكاةً لا تنطفئ أبدًا، ولا يُطس نورها الذي ينيرُ دربي، فلولا نورك لأضيع عن نفسي.

وهو الآن ضائع بالفعل عن نفسه!

يا ليته كان يدرك إن ما تفوه به ذاك اليوم سيحياه قريبًا.

لم يتصور يومًا أن يضيع بهذا الشكل!

آهٍ من ألم الفؤاد، فهو الألم الوحيد الذي ليس له علاج!

وآهٍ من عذاب الروح التي تتلظى بنار الغياب!

لم يشعر هاشم بالوقت، ذهنه فقط مشغول بالذكريات التي لولاها لكان صريع الموت في الحال.

من قال إن الذكريات لا تحيي؟

من قال إن هذا االمفارق لا تحييه ذكرياته!

وتصبرنا على بُعده.

فهي تكون عزاؤنا الوحيد للعيش بعده.

وذكرياتها كانت تلهمه الصبر، وتبعث فيه الأمل، فيتقوى، ويتحمل ويمني نفسه بإجادها.

تبخرت كل ذكرياته في لحظة، عندما اخترق أذان الفجر أذنيه، كأن الله يبعث له برساله إنه موجود!

لا يرد عبدٌ باليقين ناجاه.

وبحسن الظن دعاه.

وبالتضرع بكاه.

وبللت العبرات الثرى.

لربما حتى يؤذن مؤذن إن " دعوتك قد أُجيبت، فأنهض ولا تيأس، أتياس من رب اسمه الرحمن، العظيم، الكافي، المعين، الحنان؟ "

وساقته قدميه إلى أقرب مسجد قابله، فخلع نعليه وتوقف على أعتابه لحظة، شعورٌ يخامره بأن ينفجر باكيًا لكنه أمسك رباطة جأشه، وعبر الباب وذهب ليتوضأ، ولم يلبث إن كان يسجد باكيًا بين يدي الله، يشكوه مرارة الدنيا!

ثم جلس يتلو كلام ربه، وجهه منكب على المصحف بين كفيه، ودون أن يشعر كان يستمطر شآبيب العيون، كلام ربه تخرج من فيه متلجلجة إلا إن عيون قلبه كانت تلتهمها إلتهامًا وتأنس بها، أحس بغتة بكفٍ يوضع على ظهره المحني، مقرونًا بصوتٍ سجيٍ رخيم يهمس :

_ المؤمن لا يجزع من ابتلاء الله يا بُني، هون عن قلبك ما الدنيا إلا غريبة ونحنُ ضيوفٌ فيها سنفارقها يومًا ما كلنا أغرابٌ كما هي غريبة عنا، وابتلاء العظيم دائمًا فيه خيرٌ لنا، أتعجب من أمر المؤمن أن ييأس وثمة خالق اسمه الرحمن، الحنان، الرؤوف، والكثير من اسماءه التي تكفي لتستروح قلب المرء، على ما حزنك أعلمت إنك لن تدخل الجنة؟ أمّا عرفت إنك من الذين هم عن ربهم لمحجوبون؟ أمّا قد حسبت إنك لن تكون من رفقاء الرسول في جنة الخلد؟!

غاض دمع هاشم ورفع بصره إلى الرجل الذي كان إمام الجامع، واستراح لوجهه الوضاء، وافتر ثغره لينبس ولم يدرك ماذا يقول، فقال الشيخ وهو يتربع أمامه :

_ لن أسئلك عما حل بك من هموم الحياة، لكنه يبدو أمر جلل، هز كيان رجل، والرجال لا تنهز كيانهم إلا لأمرٍ عظيم قد ألَم بهم، لكني سأدعوا لك الله أن يفرج همك عاجلًا غير أجلًا.

اغتصب هاشم بسمة في وجه الشيخ، وغمغم بصوت يحمل حزنًا دفين :

_ همني بالفعل أمر عظيم على نفسي يا شيخ أظن إني لن أحور منه على سجيتي، ولن أكون بخير، لقد توهت عن نفسي!

نظر الشيخ في إمعان شديد في عيناي هاشم، وقال :

_ وإن توهنا يا بني ماذا في ذلك؟ من منا لا يتوه عن نفسه! لنتوه لكن خذ قرار إنك قلما تهت بحثت عن نفسك في درب الرحمن وستجدها هائمة وعليك أن تعيدها، لا أن تجلس متفرجًا فقط دون أن تنقذ نفسك.

نظر إليه هاشم بوجهٍ عصره الهم عصرًا وقال :

_ وماذا لو لم أستطع إنقاذها، ماذا لو آثرت الضياع؟!

_ستُهذبها يا بني رغمًا عنها، وتعيدها، فقط توكل على الله في كل حال وهو خير وكيل.

ربت هاشم على كف الرجل، وهو يقول بصوت يغمره الراحة :

_ أشكرك وافر الشكر يا شيخ فقد ارحت نفسي مما اهمها، بارك الله فيك.

رد عليه الشيخ وهو ينهض :

_ وفيك الله بارك يا بني، وأسعد قلبك، استأذن منك.

_ إذنك معك يا شيخ.

غادر الرجل، وترك هاشم متقلب البال، متلهي القلب، ثم أخرج هاتفه مع زفرة حانقة، فوجدَّ الكثر من المكالمات الفائتة من والدته، وخالته، لكن جل هذا لم يجذب انتباهه رقم واحدٍ فقط، واسم واحدٌ فقط صب عليه كامل اهتمامه ولهفته وهو يهب واقفًا، ويعيد الأتصال بصديقه الذي كان قد

طلب منه البحث عن عنوان بيت خاطف زوجته، وما هي إلا لحظات، واتاه صوت صديقه بينما يعبر باب المسجد :

_ هاشم، لِما لا ترد يا رجل ...

قاطعه هاشم في عجل :

_ ماذا فعلت يا حازم؟

_عرفت لك العنوان، لكن عدني ألا تتهور، يكفيك ما لقيته من المدير اليوم ..

بتر هاشم عبارته بصوتٍ صارم، لا يقبل النقاش :

_ قُل العنوان يا حازم لا تثير جنوني أكثر.

املاه صديقه العنوان وما كاد ينبس ببنت شفة أخرى كان هاشم يغلق في وجهه دون أدنى تردد، ويحث الخطى إلى سيارته، ويستقلها وينطلق وقد أزفت اللحظة الحاسمة.

وأزِف الوقت الموعود.

وحانت النهاية

نهاية الغياب

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد

قرع هاشم ما إن وصل لمبتغاه بابُ المنزل، بغضبٍ يتفجر منه تفجيرا، ولم يلبث إن فُتحت امرأة تضعُ حجابها بعشوائية وتنظر له باستفسار، فسألها بخشونة :

_ أين زوجك؟

فردت المرأة بسؤال متعجب :

_ ومن أنت؟

رد عليها هاشم من بين أسنانه :

_ أيـــن زوجك يا امرأة؟!

تراجعت المرأة خطوة عن مرمى بصره الذي خال إليها إنه يطلق شرارًا يكاد يحرقها، وغمغمت :

_ لن أقول شيئًا قبل أن تخبرني من أنت؟!

جن جنون هاشم فضرب قبضته بالحائط وهو يصرخ :

_ قُلت لكِ اين زوجك؟ أين هو؟!

وفي غمضة عين، كان يدفعها لداخل الشقة دون أدنى اهتمام ويصفع الباب وراءه.

لا ريب أن المرأة لم تستوعب بعد ما حدث، قد جحظت عينيها وطل منهما رعب الموت، لكن هاشم لم يعبء بنظرة الخوف تلك، ولا هلعها وهو يستل سلاحه في وجهها، هاتفًا :

_ ستخبرينني الآن أما ماذا ...

قاطعه صوتٌ صغير باكي يأتي بغتة، ينادي بخوف :

_ ماما.

فألقى نظرة لمصدر الصوت، وتراءت له طفلة صغيرة باكية، تحتضن قدمين والدتها، وتنظر له بخوفٍ شديد، فاهتز السلاح في قبضته، وارتج قلبه رغمًا عنه، وخرج صوته مهزوزًا وهو يهمس همسًا يدمي القلب :

_ أخبريني رجاءً أين هو، إنها .. إنها مسائلة حياة أو موت؟!

وأنزل ذراعه وهو ينظر لها في رجاء، فصمتت المرأة لثوانٍ قبل أن تقول :

_ أقسم لك بأني لا اعلم عنه شيء، فقط طُلقت منه ما إن قُبض عليه وعلمت إنه يتحرش بالبنات...

سقط في يد هاشم، وأظلمت الدنيا في عينيه، لكن المرأة استدركت تقول :

_ كل ما اعلمه عنه إنه ما إن خرج من الحبس، وصار رجلٌ آخر لقد صادق أُناس يكثرُ منهم الشر.

غمغم هاشم بفقدان ألم :

_ وما فائدة ذلك؟ لقد ضاع كل شيء.

نفت المرأة قائلة :

_ لم يضيع شيء، معي رقمه الخاص لا ادري إن كان سيفيدك في شيء لكن ربما يفعل، لقد اعطاه ليّ بحيثُ إذا اراد أن يحادث ابنته.

هلل وجه هاشم، وبرقت عيناه وهو يقول :

_ إليّ به...

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد

تعقب هاشم رقم الخاطف كظله، وما هي إلا سويعات قلائل مرت كالدهر الذي أبى أن يمر مرور الكرام إلا وقد دمر قلب المرء، وهشم روحه إلى فُتات، وصل هاشم بسيارته إلى طابق سكني رث قديم الطراز من الطوب الأحمر، وكان من دورين فقط لا غير، تحيط به بضع مباني من كل الجهات، وفي تمهل ترجل هاشم من سيارته وهو يدرس كل الاحتمالات بدقة، وعيناه تفحصان المكان باهتمام، وراحت قدماه تنتقلان ببطء، وفجأة!

ودون سابق إنذار!

وعلى غفلة من أمره!

رأى الخاطف يسير من بداية الشارع يدخن سيجاره، وبيده حقيبة بلاستكية سوداء، شارد الذهن والعينان، فتميز هاشم غيظًا، وتفجر في أعماقه الغضب، وهدر في شراسة وهو يضرب قبضته في راحته :

_على جثتي إن جعلتك تفلت من بين يداي هذه المرة.

وانطلق نحوه، وتلاقت عيناه بعينان الخاطف الذي شع منهما الرعب ورمى سيجارته فورًا، وسقطت الحقيبة من يده، وهَم أن يستدير ليفر هاربًا لكن هاشم جذبه من تلابيب ملابسه، وأدار جسده ولكمة بكل قوته وهو يصيح صيحة تحمل كل معاناته :

_ كيف أستطعت أن تأخذها ها؟ أين زوجتي يا هذا؟

قهق الرجل وهو يزيل بكم ساعده الدماء التي سالت من زاوية فمه، وهو يقول بعصبية :

_زوجتك؟! أم حطام زوجتك، أيهما تريد؟

_ يا حقير.

هجم عليه هاشم وهو يكرر عبارته في غضب، لم يكن الرجل خبير بفنون القتال عكس هاشم الذي أوسعة لكمًا، وأبرحه ركلًا، وخنقًا لذا! كان هين على هاشم أن يصنع ما شاء.

وبدا كمارد من الشياطين لا يرى أمامه اي حد..

أو كأعصار مدمر.

" زوجتك جميلة يا رجل، منذُ ما وقعت عيناي عليها في الصف وأنا اتلهب شوقًا لأتذوقها، لكنها ورغم إنها معي ولا يستطيع احد إنقاذها مني لم استطع لمسها إلى الآن بسبب مناورتي لك، لكنني كنتُ أعزم اليوم على سلبها ما تملك "

انتزعته العبارة، التي قيلت بوحشية شهوانية، من غمرة جنونه فجحظت عيناي هاشم حتى كادتا أن تخرجان من محجريهما وألتفت أصابعه حول عنق الخاطف بكل ثورته وهو يهتف :

_ سأقتلك، سأشرب من دمك، سأقطعك لأشلاء.

حاول الرجل نزع أصابع هاشم من حول عنقه لكنها بدت كالفولاذ أو الغراء الذي ألتصق به، وحملقت حدقتيه في رعب، وخفتت انفاسه وسكن جسده لوهله، وبينما كان يحسبُ أن روحه ستخرج دفعه هاشم بعيدًا وهو يغمغم :

_ لن أقتلك قبل ان تخبرني اين هي!

سعل الرجل وهو منحني يمسد على عنقه، و لمح حديدة ملقاه جانبًا، فتصنع الألم والتأوه أكثر وهو يميل ويلتقطها وعلى غفلة من هاشم ضرب بها قدميه فسقط أرضًا وركض الرجل إلى إحدى البنايات وارتقى درجها في سرعة إلى السطح الذي كان يحوي غرفة وحيدة، فتح بابها وأنطلق إلى درج ألتقط منه سكينًا، ثم نظر ساكنًا إلى أسماء المكبلة الذراعين، ومقيدة القدمين، ومعصومت العينين، ومربوطة الفم، فتبسم في شراسة عجيبة وجذبها في عنف ليحل وثاقها واحدًا تلو الآخر ثم يوقفها مع بروز هاشم لدن الباب فتسمرت قدماه وهو ينظر إلى من دق لها الفؤاد مرتجفة الجسد، وعلى مرأى من عيناه رأى الرجل وهو يفك رباط عينيها وفمها ويضع السكينٌ على عنقها، لم تنبس أسماء من شدة الخوف، وأن نشادته عيناها أن ينقذها..

أن يمحى تلك اللحظة من ذهنها، وقلبها..

أن يضمها بين ذراعيه فقط لتطمئن!

لماذا قد يكون الأمان موجودًا وغير موجود في آن..

لماذا تصرُّ الحياة على نزع الأمن والأمل منا؟

هطلت دموع الآسى من مقلتاها وهي تنظر في عينان هاشم المتفعمتين بالأسف والخجل من نفسه.

ونزعهما صوت الخاطف وهو يلوح بالسكين :

_ ابتعد عن الباب، ابتعد وإلا سأقتلها!

أومأ هاشم برأسه وهو يتقهقر للخلف في حذر وترقب، وعيناه تنتلقان إلى وجه زوجته والسكين والرجل في ترصد لأي بادرة، وسار الرجل بـ اسماء خارجًا من الغرفة وهو يسوقها أمامه وما كاد يعبر الباب، إذ تحرك هاشم كالرياح فجذب معمصه القابض على السكين وأطاح به بعيدًا وسحب أسماء وراءه، وانهال على الرجل ضربًا وفي غمرة انشغاله سقط السلاح من غمده دون أن يدري، و وقعت عينان الرجل عليه، فاستنفر كل قوته ليضرب هاشم ويثب إلى السلاح ويأخذه..

وأشهره في وجه هاشم الذي وقف ثابتًا..

وسحب الرجل إبرة المسدس، وعيناه متعلقتان بعينين هاشم مباشرةً...

وفي هدوء، ودون أدنى تفكير، أو تردد ضغط الزناد..

وانطلقت الرصاصة بصوتٍ مدوي.

وأمام عينا هاشم، ومراقبة روحه وقلبه رأى الرصاصة تخترق جسد زوجته التي وقفت أمامه، وانبثق الدم من الجرح، كما انبثقت دماء روحه وهو يهتف بلوعة اسمها ويتلقى ترنحها بين كفيه، ويستقبل سقوطها بين ذراعيه، دبت حركة رجال الشرطة حول هاشم، لكنه لم ينتبه، ولم يلاحظ وهم يكبلون الخاطف بالأصفاد والأخير يضحك كمن اصابه الجنون، بينما وقف رفيق هاشم مرددًا :

_ يا إلهي أسماء! يا إلهي.

وصاح :

_ إسعاف نريد إسعاف...

كل هذا لم يدر به هاشم، وكل ما به يرمق بحنان زوجته بين ذراعيه، والتي مدت كفيها لتلامس وجهها، فقبل باطن كفها وغاضت الكلمات بداخله، رغم إنها كانت تمور في نفسه مورًا لتخرج همسًا إلى أذنيها، وتراخت ذراعها، ورفرفرت أهدابها التي كانتا تظللان وطنه القابع في عينيها، وأسبلتا جفنيها، وسال دمعه على وجهه ليتحول رويدًا رويدًا إلى نشيج يُنطق الحجر، ويبكى الصخور، ويقطع نياط القلب وأوتاره، وسُلمت الروح لبارئها وقد قضى نحبها وغربت الشمس لتتلون السماء بلون الشفق الأحمر، معلنة عن غروب روح هاشم..

وقلب هاشم..

وحياة هاشم..

هاشم الذي وارى الثرى مهجته..

لقد رحلت .. رحلت من كانت إذ غابت عن عيناه يشتاق إليها مع كل نبضة من نبضات قلبه.

رحلت من كانت كل نبضة من نبضات قلبه..

وغابت شمسه..

وأفل نجمه..

وابتلعه ظلامٌ حالك لن يحور منه..

من الآن سيحيا بعد ذاك في غرفة مغلقة الأبواب، عائمة في الوحدة والدموع..

وسمع قول رفيقه بهمس الشهادة، فنظر له بضياع وبمقلتين زائغنين تسحان الدمع، ورفع نظره إلى السماء وتبسم للشفق، وخُيل إليه أن وجهها يضوي في سماءه فنهض وهو يرفعها بين ذراعيه بكل رفق ويولى ظهره لصديقه ويسير ومن وراءه كان الشفق يناظره بحزن، ويودعه ببسمة حزينة، ويلوح له بكل ألم..

والشمس تغرب..

وتغرب...

كما غربت شمسه..

شمس قلبه و وجدانه..

تمت بحمد الله وفضله

2023/2/10 الموافق يوم الجمعة...

#لحظة_غياب

#ندى_ممدوح